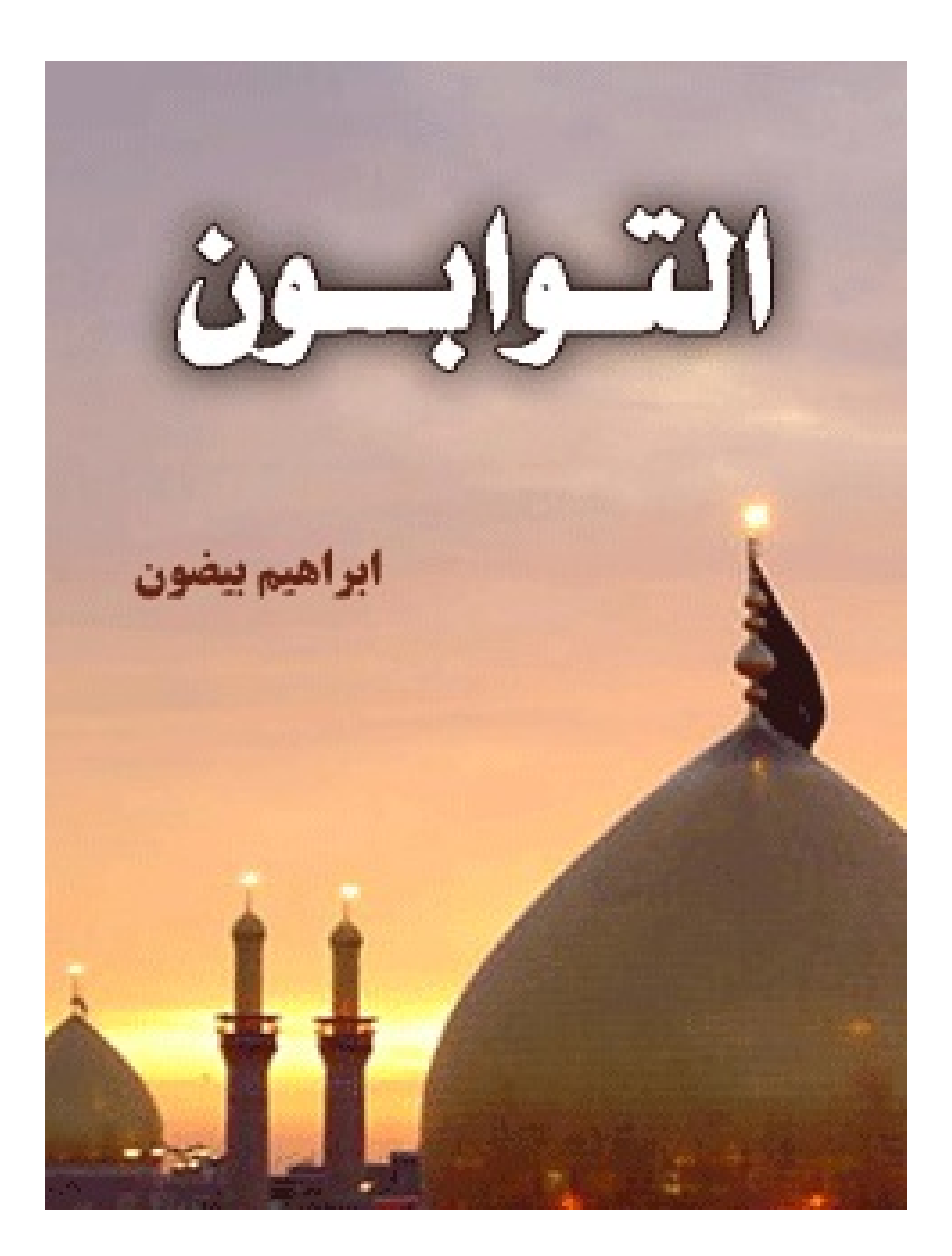

التوابون
ابراهيم بيضون


بسم الله الرحمن الرحیم

التوابون

كاتب:

إبراهيم بيضون

نشرت في الطباعة:

إبراهيم بيضون

رقمی الناشر:

مركز القائمیة باصفهان للتحریات الكمبیوتریة

الفهرس

التوابون

اشارة

نوع: کتاب
پدیدآور: بیضون، ابراهیم۱۹۴۶- م.
عنوان و شرح مسئولیت: التوابون [منبع الکترونیکی] / تالیف إبراهیم بیضون
ناشر: موسسه تحقیقات و نشر معارف اهل البیت(ع)
توصیف ظاهری: ۱ متن الکترونیکی: بایگانی HTML؛ داده های الکترونیکی (۱۷۵ بایگانی: ۳۵۳.۶KB)
یادداشت: کتابنامه به صورت زیرنویس
موضوع: تاریخ

الاهداء

الی روح ابیالتی لا تزال مصدر الهام لی ومنبع عطاء..اقدم هذا الکتاب الذی هو نفحهٔ من ذلک الالهام وبعض من ذلک العطاء.ابراهیم [صفحه ۵] بسم الله الرحمن الرحیم«اللهم انا قد خرجنا من الدیار والاموال. وفارقنا الاهلین والاولاد، نرید جهاد الفاسقین المحلین الذین قتلوا ابن بنت نبیک فتب علینا وارزقنا الشهادهٔ یا أرحم الراحمین.اللهم انّا نعلم انه لو کان الجهاد منهم بمطلع الشمس أو بمغرب القمر أو بمنقطع التراب لکان حقیقاً علینا أن نطلبه حتی نناله فان ذلک هو الفوز العظیم والشهادهٔ التی ثوابها الجنهٔ».عن الفتوح لابن الاعثم الکوفی

المقدمهٔ

ان تاریخنا العربی حافل بالکثیر من الشخصیات الفذهٔ التی ساهمت بمواقفها البطولیهٔ وتضحیاتها الرائعهٔ فی صنع هذا التاریخ. بید أن فئهٔ غیر قلیلهٔ من هؤلاء، لم نجد لها محلًا لائقاً فی مجالات التقییم والنشر، فظل بعضها مطموساً فی صفحات الکتب القدیمهٔ، والآخر تناولته الاقلام بشکل عابر، فما زادت القارئ الا فضولاً والا تشویقاً لمعرفهٔ المزید.وسلیمان بن صُرد الخزاعی موضوع کتابنا، هو من تلک الفئهٔ التی تکاد تکون شبه مجهولهٔ حتی للقارئ التاریخی فی کثیر من الاحیان. ویرتبط اسم سلیمان بثورهٔ التوّابین التی قامت کردهٔ فعل عفویهٔ لمصرع الحسین فی کربلاء، وانبثاقاً من الشعور بالذنب الذی غمر الکوفهٔ حینئذ، ومحاولهٔ للتکفیر عنه بأیهٔ وسیلهٔ.والواقع ان حرکهٔ التوابین التی قامت بزعامهٔ سلیمان ورفاقه من قادهٔ الحزب الشیعی، هی طراز فرید بین [صفحه ۸] الحرکات السیاسیهٔ العدیدهٔ التی شهدتها تلک الفترهٔ المهمهٔ من التاریخ العربی، ذلک انها لم تتضمن شیئاً من برنامج الحرکهٔ الشیعیهٔ السیاسی او الاجتماعی او الاقتصادی علی غرار ما ظهر قبل ذلک فی ثورهٔ الحسین او ما ظهر من ملامح فیما بعد فی حرکهٔ المختار الثقفی، وانما انحصرت فی ظل اطار التکفیر عن الذنب واتخذت من الثأر للحسین شعاراً رئیسیاً لها، وانعکس علیها سلوک زعمائها المثالی وشخصیاتهم المرتفعهٔ التی زهدت بالمناصب ورفضت المساومات، ونبذت کل موقف لا یتلاءم مع المبدأ العام للحرکهٔ، الذی لخصه سلیمان بالعبارهٔ الآتیهٔ: «انه لا ـ یغسل عنهم ذلک الجرم الا ـ قتل من قتله او القتل فیه» [۱] .وانطلاقاً من هذا المفهوم نجد أن حرکهٔ التوابین کثورهٔ سیاسیهٔ لا تبتعد بذلک عن الخط المبدأی لحرکهٔ المعارضهٔ الشیعیهٔ اثناء مراحلها النضالیهٔ المتلاحقهٔ من أجل استلام الحکم. فالتخلی عن هذا المطلب – کان بنظرهم – تخلیاً عن حق شرعی وخرقاً لعهد الهی. ونتیجهٔ لذلک لم یکن طلب السلطهٔ عندهم

للتحكّم، وانما لتنفيذ مبدأ هو الاسلام. ولا ريب فی أن وجود مثل هذه الافكار المثالية [صفحه ۹] كان سبباً لاخفاق الحركات الشيعية وعاملاً ساعد الامويين على تصفيتها بسهولة.وفی هذا الكتاب عن ثورة التوابين وزعيمها سليمان بن صرد، رأينا انه من المفيد البحث فی جذور المشكلة التی كانت دافعاً لكل تحرك شيعی ضد النظام الاموی، وهی مشكلة الحكم. ورغم أن ثورة التوابين لا تدخل ضمن هذا التحرك، ولكنها تتصل به بصورة غير مباشرة باعتبارها ردة فعل لثورة الحسين، باكورة التحرك الشيعی المنظم.ولكی نوفر لهذا البحث المعطيات اللازمة والاساسية لكل بحث موضوعی، عالجنا مشكلة الحكم فی الاسلام بعد النبی وخلفياتها فی مجتمع شمالی شبه الجزيرة العربية، وظهور منصب الخلافة ثم تطور مفهومه من الناحية السياسية البحتة الى الامامة. بعد ذلک تطرقنا بشیء من الاختصار الى ثورة الحسين قبل أن نتوسع فی تفاصيل الحركة التوابية موضوع بحثنا.أما المنابع التی استقينا منها عناصر هذا البحث فكانت بصورة أولية مخطوطة الفتوح لابن الاعثم الكوفی من رجالات القرن الثالث للهجرة وبعض المصادر القديمة المعروفة، فضلاً عن عدد غير قليل من المراجع الحديثة. [صفحه ۱۰] وأخيراً فأرجو أن أكون قد وُفقت فی القاء ضوء على شخصيات لم تنل حقها العادل فی مجال التقييم، وأن أكون قد أسهمت بدور متواضع فی خدمة الفكر التاريخی للعرب.بيروت ۱۷/۹/۱۹۷۴ابراهيم بيضون [صفحه ۱۳]

الحكم بعد محمد

اشاره

كان موت الرسول بعد سنوات قليلة من وضعه الاسس الاولی لدولة الاسلام، مفاجأة أذهلت، ربما الشخصيات التاريخية التی عاصرته وعاشت قريبة منه. فبموته شغر مركز الحكم الاول دون اعداد للرجل الذی يمكن أن يشغله، من الناحية الرسمية على الاقل، لان أكثر من مرشح فی الواقع اتجهت اليهم الانظار بعد الخروج من هول المفاجأة، بعضهم كان يطرح نفسه مدفوعاً باعتبارات قبلية، وبعضهم لسابقته فی الاسلام والجهاد فی سبيله. وهكذا وجد المسلمون أنفسهم بعد وفاة الرسول مباشرة فی مهب أزمة سياسية كادت تعصف بالبنيان الذی كان لا يزال حديث العهد. فالحكم فی الدولة الاسلامية الناشئة ارتبط ارتباطاً وثيقاً بشخصية الرسول، وعلى ذلک لم تطرح فی حياته مسألة الخلافة، حتی اذا غاب المؤسس حدث فراغ كبير فی جهاز الحكم وأخذت تباشير لازمة تنذر بالانفجار والرسول لا ـ زال مسجی فی بيته.هل كانت هناک وصية من الرسول حول خلافته؟انه تساؤل أثار كثيراً من الجدل ولا زال... ورغم [صفحه ۱۴] ان البعض يؤكد وجود مثل هذه الوصية [۲] التی تشير الى أن الرسول كان يعد علياً لخلافته فان هذا برأيهم ورأی آخرين غيرهم، أقل ما تفرض الاعتقاد به تصرفات النبی اذ كان من غير المعقول الا يعالج مسألة الحكم قبل موته او ألا يجلو عنها الغموض على الاقل.والواقع ان عدة مؤشرات يمكن أن تضیء لنا الطريق فی بحثنا لهذه المسألة، وكلها توحی بأن الاعداد للخلافة كان لا ينفصل عن تصرفات النبی واجراءاته النظرية والتطبيقية، وان ثمة مخططاً واضحاً كان يرمی الى اختيار علی بمعرفة الزعماء الكبار من المسلمين. وقد أدی ذلک الى ظهور أول تكتل سياسی فی المدينة، اتخذ موقفاً موحداً من الخلافة، ضم أبا بكر وعمر وأبا عبيدة.ويبدو أن النبی كان يسمع اعتراضات هؤلاء وغيرهم بشأن اعداده لعلی تتناول أكثر ما تتناول تأخره عنهم فی السن كثيراً. فيأتی جواب النبی فی تركيبة الجيش الذی أرسله لغزو الاطراف الجنوبية من بلاد الشام [۳] وضم عدداً من كبار الصحابة كأبی بكر وعمر وابی عبيده وسعد بن ابی وقاص وغيرهم من شيوخ المسلمين والمهاجرين والانصار، [صفحه ۱۵] وكان هؤلاء جميعاً تحت قيادة اسامة بن زيد الحدث السن والاقل شأناً بينهم فی مركزه السياسی ومكانته القبلية [۴] .وليست من قبيل الصدفة أن يُستثنی علی من الدخول فی هذا الجيش وما كان بقاؤه الى جانب النبی – وهو فی آخر أيامه – الا تحسبا للظروف.وقد حدث بعد اشتداد وطأة المرض على النبی ما أكد اصراره على خروج اسامة بالجيش مع انه لم يكن هناک ضرورة ملحة لهذا الاصرار، سوی أن ذلک كان محاولة

أخيرة لا يصال على الى الخلافة بابعاد كبار الطامحين اليها عن المدينة. وقد أدرك هؤلاء هدف النبى فترددوا فى تنفيذ أوامره وآثروا عدم الابتعاد عن المسرح السياسى فى ظل ظروف دقيقة كهذه [۵] .ونحن لن نتوغل هنا فى تفاصيل أحداث الازمة السياسية التى سيطرت على المدينة، وتطاحن الاحزاب فيها من أجل الاستيلاء على السلطة، فأمر ذلك معروف ومتداول بين مختلف فئات الناس. ذلك أن غايتنا هى البحث فى جذور حركة التشيع سياسياً ثم ظهور الحزب [صفحه ۱۶] الشيعى الذى قاد معظم حركات المعارضة فى الاسلام، وفجر أشد الثورات عنفاً ضد النظام الاموى ثم العباسى.ان الفراغ الذى أحدق بالدولة الفتية أثناء مرض النبى لم يشل الحركة السياسية فى المدينة التى غدت دون حكومة وبلا امام. ففى حين لازم على بيت الرسول مطمئناً على ما يبدو بأن سير الامور سيتجه لمصلحته [۶] ، نشط السياسيون الذين كانوا يترصدون الاحداث عن كثب وبدأوا يتحركون بسرعة، ولعلهم أدركوا ان السرعة هى التى تقرر الامور فى مثل هذه المواقف.وعندما مات النبى كان الوضع شديد التوتر، والناس موزعة بين تكتلات ثلاثة:۱ - أسرة النبى وجمهور المسلمين وبعض كبار الصحابة أمثال: الزبير وسلمان وابو ذر والمقداد فضلاً عن شخصيات أخرى كأبى سفيان وخالد بن سعيد الاموى والبراء بن عازب الانصارى [۷] وكان على مرشحهم للخلافة. [صفحه ۱۷] ۲ - بعض زعماء الانصار الذين اجتمعوا فى سقيفة بنى ساعده مع نفر قليل بزعامة كبير الخزرج سعد بن عبادة الذى كان يحاول اعلان ترشيحه للخلافة.۳ - تكتل (أبو بكر، عمر، ابو عبيدة) من المهاجرين وكانوا جميعاً مرشحين للخلافة.ولقد كان تكتل الانصار فى الواقع سبّاقاً فى اثارة المشكلة حين سارع الى التجمع فى سقيفة بنى ساعدة فور العلم باحتضار الرسول، وكان ابرزهم سعد بن عبادة الذى جىء به وهو مريض، وصوته يتهدج الى درجة أن ابنه كان ينقل ما يقوله الى الحاضرين [۸] وهنا تحرك تكتل المهاجرين الثانى (ابو بكر، عمر، ابو عبيدة) وخطط بذكاء مستفيداً من الظروف الى أبعد الحدود، ومعتمداً على سلبية تكتل المهاجرين الاول المنشغلين بموت الرسول، وعلى ضرب اتفاق القبيلتين [۹] التى يتألف منها تكتل الانصار خاصة وأن ترشيح سعد الخزرجى لم يلق تجاوباً لدى زعماء الأوس [۱۰] ، وأوجد بعض المزاحمة فى قبيلة الخزرج نفسها من جانب بشير بن سعد الانصارى، فضلاً [صفحه ۱۸] عن ان بعض «الانصار قالت لا نبايع الا علياً» [۱۱] .وما لبث التصدع أن أصاب جبهة الانصار بظهور أول موقف تراجعى أعلنته طائفة منهم بقولها: «منا أمير ومنكم أمير». وكان ذلك أول الوهن كما عبّر عنه سعد بن عبادة [۱۲] ، وهو لا شك قد لامس الحقيقة، لان جدلاً عنيفاً تفجر فى السقيفة حينئذ، ولم يخفف من حدته الا محاولات عمر لاشغال الرأى العام بقضية موت النبى [۱۳] ، ثم ظهور أبى بكر [۱۴] حيث ألقى خطبة عرض فيها دور المهاجرين فى نصرة الرسول وسابقتهم فى الاسلام [۱۵] وأعلن انه ورفاقه الجماعة التى ينبغى ان يكون لها هذا الأمر [۱۶] ، دون أن يتجاهل دور الانصار ونصيبهم فى الدولة الناشئة [۱۷] . [صفحه ۱۹] ويبدو ان خطبة ابى بكر فعلت فعلها فى نفوس المجتمعين فى السقيفة، وكان حينذاك عمر بذكائه الشديد وشخصيته القوية يبذل جهداً فائقاً فى استغلال الموقف الذى بدأ يتحول تدريجياً لصالح المهاجرين. فقد أصبح الآن باستطاعة ابى بكر ان يطرح رجلاً من تكتله للخلافة وفعل ذلك حين قال: «هذا عمر وهذا أبو عبيدة، فأيهما شئتم فبايعوا» [۱۸] ولكن عمر أبى الاستجابة لدعوة ابى بكر وأصر على أن يكون هذا الاخير هو الخليفة. وثار الجدل من جديد، وفى غمرة ذلك تقدم عمر من أبى بكر قائلاً: «من ذا ينبغى له أن يتقدمك أو يتولى الامر عليك، ابسط يدك نبايعك» [۱۹] وبذلك خرج ابو بكر من السقيفة أول خليفة فى الاسلام حائزاً على تأييد الانصار واثنين من زعماء المهاجرين الكبار.وكانت خلافة ابى بكر أشبه ما تكون بانقلاب سياسى ناجح، فجّره تمرد الانصار فى السقيفة، وحوّله تكتل المهاجرين الى مصلحته، دون أن يتاح لفئة مهمة من المسلمين فى أن تمارس حقها المشروع فى عملية الاختيار. فالظروف التى تمت فيها البيعة، لم تكن فى مطلق الاحوال ملائمة [صفحه ۲۰] لتقرير مسألة خطيرة كالخلافة، حين تمخض عنها تشريع عرفى، بأن السلطان لمن غلب، وكان لا بد من أن تعكس سلبياتها طويلاً على تلك المؤسسة.كانت حادثة السقيفة، برغم الاجماع الذى حظى به أبو بكر، وبيعة مختلف الاحزاب له فيما بعد، نقطة البداية فى تاريخ الحركة الشيعية [۲۰] ذلك أن اختيار ابى بكر وابعاد على لم تستسيغهما جماعة هذا الاخير والمؤيدين له.. وقد ترك أعمق الاثر فى نفوس هؤلاء الذين التفوا منذ ذلك الحين حول على وأيدوا قضيته فى الخلافة، ثم تحولوا الى حزب سياسى

عرف بالحزب الشيعی (لمشايعته عليا) او العلوی نسبة اليه. [صفحه ۲۱]

قيام مؤسسة الخلافة و تطورها السياسی

ليس من السهل أن نبحث فی مسألة نشوء الخلافة وتطور أسسها والتحول فی مفاهيمها السياسية والعقائدية. فذلك يحتاج أولاً التعرض الی المنطلقات السياسية مع أصول الادارة والسلطة عند العرب قبل قيام الاسلام، ثم تطور هذه الاصول والمنطلقات بعد انتصار الاسلام وتأسيس دولته.ولا ـ بد للباحث، عند الشروع بمثل هذا العمل، أن يجد نفسه ملزماً فی التعرف الی أحوال مكة ومجتمعها بشكل أساسی، ثم أحوال بقية شبه الجزيرة حاضرها وباديها. لم تعرف مكة قبل قيام الاسلام الحكومة بأی شكل من اشكالها وحدود سلطاتها، بل أديرت شؤونها من قبل كبار التجار وممثلی كبار الاسرة القرشية. وكان للمدينة عدد من الشعب الوظائفية وزعت كل واحدة منها علی أسرة من الأسر، دون أن يكون هنالك اية هيئة حاكمة تتمتع بصفة من صفات الشرعية. كذلك لم تعرف المدينة [صفحه ۲۲] أی نوع من أنواع القوة المسلحة، او يوجد فيها جماعات كهنة لهم نفوذ وسلطات، بل كان زعماؤها يجتمعون أحياناً للتداول فی القضايا والمشاكل، وكان مكان اجتماعهم يدعی (دار الندوة). غير أن القرارات التی كانت تتخذ فی هذه الاخيرة، لم يكن لها صفة الالزام، وانما كان الاخذ بها اختيارياً وفردياً... وكان اجماع زعماء المدينة علی أمر من الامور متعذراً فی كثير من الاحيان، وكثيراً ما كانت تنقسم المدينة فی مواقفها من القضايا وتعقد التحالفات المتضادة داخلها، وفی النهاية يكون النصر غالباً للحلف الأقوی. وفی كتب الاخبار والسيرة أحاديث طويلة حول بعض القضايا التی واجهها مجتمع مكة وحول أحلاف هذا المجتمع، ويستفاد من بعض الاخبار انه وجد لدی المكيين مفهوم واحد للشرعية الواجب الالتزام بأوامرها مهما كانت، وهذا المفهوم ارتبط بالكعبة التی كانت موضع اجلالهم وقداستهم. فعندما كان يجمع غالبية الزعماء المكيون علی أمر من الأمور كانوا يدونون ما أجمعوا عليه فی صحيفة ويقومون بتعليقها فی جوف الكعبة، وهنا يأخذ الامر صفة الشرعية. ولدينا مثال واضح حول هذا: ما عمله المكيون حين أعلنوا صحيفة مقاطعة بنی هاشم التی اضطرت هؤلاء الالتزام بها، فتركوا مكة وأقاموا محصورين فی شعب ابی طالب، وعاشوا فی ظل المقاطعة حتی مزقت الصحيفة [۲۱] . [صفحه ۲۳] هذا وقد استمرت عادة تعليق صحف المعاهدات والوصايا وغيرها فی الكعبة. ومن أوضح الامثلة علی ذلك ما فعله هارون الرشيد حين قام بتولية اولاده العهد من بعده.ان أمر الالتزام بشرعية الاوامر المعلقة فی جوف الكعبة مرتبط بقدسيتها، حيث اعتبرها القرشيون بيت الله. وهكذا فالامر المعلق فی جوفها تصبح له صفات الهية، وهو أمر فی غاية الاهمية، وقد تطور بعد ذلك تطوراً كبيراً.وبعد قيام الاسلام، ومع بداية التبشير به لم يحدث تغيير جوهری فيما كان سائداً فی مكة، ذلك أن النبی لم يمارس أية سلطات علی الذين آمنوا برسالته، ولكنه مع ذلك فقد غدا مسموع الكلمة، محترماً ومتبع الرأی بين أتباعه.وقد تبدل هذا الحال كلياً بانقضاء الفترة المكية وهجرة المسلمين الی المدينة، حين عمل النبی الذی أصبح بالاضافة الی صفة النبوة يتحلی بصفة زعيم أمة وحاكمها المطلق النابعة أحكامه من ارادة الله، عمل هذا النبی علی انشاء أمة جديدة ذات تقاليد وقواعد جديدة. ولاول مرة فی حياة مجتمع شمالی شبه الجزيرة العربية، لا بل فی مجتمع الجزيرة كله، قامت تجربة جديدة للحكم، مركزية السلطة، [صفحه ۲۴] حاكمها يملك الحق فی التشريع وفی نفس الوقت يقع عليه واجب تنفيذ الاحكام. ولم يكن تطبيق هذا والقبول به من قبل العرب من الامور السهلة، لكن النبی نجح الی أبعد الحدود فی ارساء قواعد لحكم الامة الجديدة التی أقامها وان كان لم يأت بنظرية للحكم ذات أسس ومنطلقات ثابتة.هذا وقد تناول بعض الناس هذه القضية حيث يرون بأن النبی قد أتی بنظرية خاصة فی الحكم والسياسة، هی نظرية الشوری، معتمدين علی ما جاء فی القرآن الكريم «وأمرهم شوری بينهم» أو «وشاورهم بالامر». ومع الاقرار بما ترمی اليه هذه الآيات، فان القرآن لم يبيّن قواعد الشوری هذه وحدودها وطرق تطبيقها، كما لم يبين الی أی حد كان علی النبی الاخذ برأی أصحابه وأتباعه. وعندما يعود المرء الی كتب السيرة يجد أن مفهوم هذه القضية لم يكن واضحاً عند أحد من الصحابة، كما لم تتوضح معالمه فی الممارسات زمن النبی.لقد ملك النبی وحده جميع فروع السلطة من تشريع وقضاء وادارة وجباية

وأعمال حربية، وذلك بالاضافة الى صفته الاساسية وهى النبوة. وهكذا امتزجت مفاهيم السلطات الزمنية بمفاهيم السلطات الدينية فى الاسلام، وصار كل أمر فى الدولة العربية الناشئة مزدوج الصفات [صفحه ۲۵] زمنياً ودينياً. وكان النبى أحياناً ينتدب بعض أصحابه فيكلفهم ببعض الوظائف حين يبتعد عن المدينة، أو يرسلهم لتنفيذ بعض المهام مثل جباية الصدقات أو تفقية الناس بالاسلام وامامتهم بالصلوات او تنفيذ مهمات عسكرية. وكان الذى ينوُب عن النبى فى امامة الصلوات يدعى خليفة النبى، وكان قائد الحملة العسكرية يسمى أمير. ولما كانت القوات التى يقودها هذا الاخير قواتاً مؤمنة تقوم بتنفيذ مهمة ضد جماعات غير مؤمنة، فقد كان بعض القادة العسكريين يُميزون عن قادة الاعداء بلفظة «أمير المؤمنين!» [۲۲] .وكان الخليفة على الصلوات يؤدى الصلاة كما يؤديها النبى دونما زيادة او نقصان، ذلك أن الخليفة هو النائب عن الأصيل الملتزم كلياً بما عهد اليه من أوامر وتعاليم. وكانت صلاحيات أمير الجيش أوسع من صلاحيات الخليفة، ذلك أن قيادة العساكر تستوجب الطاعة المبرمة، وتعطى القائد فرص التصرف وابداع الحلول واصدار ما يراه ضرورياً من أوامر وتعليمات. ففى حين حُرم الخليفة من السلطات التشريعية مُنح ذلك للامير وتمتع به.ومع اتساع رقعة الدولة الجديدة، وتعاظم [صفحه ۲۶] المسؤوليات فيها، تقدم النبى بالسن وأخذت آثار المرض وما عاناه تظهر عليه، وهنا - كما يُستخلص من الاخبار - أخذ بعض المسلمين يفكرون فى مستقبل العقيدة وفى شؤون الحكم فى الدولة ومع مرض النبى الاخير أصبحت هذه المسألة هاجساً جثم على صدور المسلمين، وأثيرت هذه القضية قبل موت النبى، ويبدو انه حاول وضع الحل لهذه المسألة ولكن مرضه وأموراً أخرى حالت بينه وبين ذلك [۲۳] .وبعدما توفى النبى تمّ استلام أبى بكر لمقاليد الحكم فى الدولة الجديدة فى ظروف سبق شرحها، وأصبح منصب الخلافة منذ ذلك الحين رسمياً وأساسياً فى الحياة السياسية للامة الاسلامية، بينما لم تكن له فى البداية أية هوية واضحة المعالم والاسس.وحاول ابو بكر تحديد معالم منصبه الجديد منطلقاً من مفهوم «الخلافة» اللغوى، أى أن الخليفة نائب ملتزم بأوامر المنيب وأفعاله. وقد ظهر ذلك فى قوله «انما أنا متبع ولست بمبتدع»، وظل أبو بكر يعرف طيلة حكمه بخليفة رسول الله، ذلك انه لم يحتج الى تبديل لقبه، لان [صفحه ۲۷] مدة حكمه كانت قصيرة، لم يحدث فيها مشاكل جديدة تحتاج الى تشريع. وهكذا ظل ابو بكر يعتبر نفسه نائباً عن النبى منفذاً لكل ما جاء به، ويرى نفسه انه لا يملك اية صلاحيات تشريعية، كما انه لا يملك اجبار المسلمين على ركوب خطة لم يحدد معالمها النبى والقرآن الكريم.ومات ابو بكر والحالة من حيث الجوهر كما هى، سوى ان رقعة الدولة قد اتسعت فشملت أراضى خارج شبه الجزيرة، كما انه تجمع فى الاقاليم المفتوحة قوات عربية مسلحة لا ريب انها أخذت تتطلع نحو اسماع صوتها ورأيها فى السلطة. وقبيل وفاته قام ابو بكر بتعيين عمر بن الخطاب لتولى شؤون الحكم من بعده. وقبل الناس بهذا التعيين، الامر الذى يدل على حدوث تغييرات فى مفاهيم الناس السياسية.واستلم عمر السلطة والدولة الناشئة تجتاز مرحلة حاسمة وتواجه مشاكل خطيرة تحتاج الى حلول، ومثل هذه الحلول تطلبت ممارسة الخليفة صلاحيات تشريعية، ذلك أن الكثير من المشاكل كان جديداً ليس له نظير بين مشاكل العصر النبوى، ومن الامثلة على ذلك قضيتا السواد ونصارى تغلب، حيث قضت الاحكام الاسلامية بتقسيم الغنائم التى يحصل عليها المسلمون وفقاً لقواعد [صفحه ۲۸] حددها القرآن، كما قضى الاسلام بأن يدفع أهل الذمة من نصارى وسواهم من غير المسلمين الجزية دونما استثناء.فبعد الاستيلاء على سواد العراق وفتح الجزيرة اقتضت الاحكام تقسيم أرض السواد، ودفع قبيلة تغلب العربية للجزية اسوة ببقية سكان الجزيرة النصارى، لكن هؤلاء رفضوا دفع الجزية. ولقد أدرك عمر ما يمكن أن يلحقه تقسيم السواد من مضار، فما كان منه الا ان ترك قسمته، ولجأ الى مضاعفة الصدقة على نصارى تغلب، بدفع ضريبة من نفس النوع الذى يدفعه المسلم انما الكمية مضاعفة [۲۴] .ان فى اقدام عمر على مثل هذا العمل، يعنى انه قد منح نفسه صلاحيات تشريعية الامر الذى لم يفعله ابو بكر، فهو بذلك لم يعد خليفة بمعنى النائب بل تصرف كتصرف أمير الجيش. وهكذا تخلى عمر عن لقب خليفة ليكتسب لقب «أمير المؤمنين» [۲۵] ، وفى هذا التعبير مؤشرات تدل على تبدل جوهرى فى المفاهيم السياسية للدولة الاسلامية، خاصة وأن العرب المسلمين اختلطوا بشعوب كانت خاضعة لفارس وبيزنطه قبل خضوعها للعرب فتركت بعض التأثير. [صفحه ۲۹] ومع امتداد الايام واتساع رقعة الدولة وبروز مشاكل جديدة أصبح الناس أكثر قبولاً لاعطاء الخليفة صلاحيات أوسع فى

التشـريع، ويبـدو أن عمر كان متنبهاً لـذلک، فأخـذ يبحث عن قاعدة يُرتكز اليها فى المسـتقبل، غير أن اغتياله المفاجئ جاء ليمنعه من اتمـام هـذا الامـر. وبينمـا هو على فراش الموت يعانى من آلام جراحه، لم يشـغله ذلک عن هاجس الحكم ومسـتقبل زمام السـلطة فى الدولة الاسـلامية الناشـئة. نظر عمر حوله، فرأى ستة من اصحاب النبى كل واحد منهم يمثل فرعاً بارزاً من أسرة الزعامة القرشية. وكان أبرز هؤلاء السـتة، على بن ابى طالب ممثل بنى هاشم، اسـرة النبى، آل البيت فى الاسـلام، وأبرز أسر الزعامة قبل الاسلام منجهة، ومن جهة ثانية عثمان بن عفان ممثل أسـرة بنى أمية، أسرة المال والزعامة الاولى قبل الاسلام، والتى تسلم العديد من أفرادها أخطر مناصب الولايات بعـد فتـح مكـة وأيام الفتوح زمن أبى بكر وعمر نفسه. ويبـدو أن هـذا الاخير رأى فى تعيين على مقدمـة لقيام حكم الاسـرة المقدسـة، ورأى فى تعييـن عثمـان تمهيـداً لتمكيـن بنى أميـة مـن التسـلط الكلى على الدولـة وتسـييرها بعقليـة الارسـتقراطية التجـارية المؤثرة.لهـذا آثر عمر عـدم تحمـل مثـل هـذه المسؤوليـة فتكون آخر أعمـاله وأخطرهـا، فكـان أن ترک هـذا الامـر للسـتة الباقين من أصحاب النبى، ليقوموا باختيار أحدهم خليفة. [صفحه ۳۰] وتوفى عمر، واجتمع هؤلاء فوضحت منذ البداية معالم الصراع، حيث أعلن أربعة من المرشـحين عزفهم عن ترشـيح أنفسـهم مع احتفاظهم بحق التصويت. وبذلک انحصـرت المعركة بين على وعثمان، وأوكلت الامور الى عبد الرحمن بن عوف لاختيار واحد منهما. وقام هذا الاخير باستطلاع آراء الناس، فكان أن واجه تيارين: أحدهما ملّ قسوة نظام عمر ورقابته المركزية الشديدة وعدم تساهله، ورأى فى اسـتلام على للحكم اسـتمراراً، لا بل تطويراً لنظام الخليفة السابق، وتطبيقاً أشـد لقوانين الاسـلام. ذلک ان علياً كان ابن الاسـلام وربيب البيت النبوى وعارفاً بأمور الـدين وعلومه أكثر من سواه، فقـد شـرب من ينابيعه الاولى منذ البداية وحتى نهاية حياة النبى بلا انقطاع أو توقف، كما رأى اتباع هذا التيار ان فى اسـتلام على للسلطة انتصاراً دائماً للتيار الهاشـمى الذى انتصر بنجاح النبى وطعن يوم السقيفة. ولقد كان اتباع هذا التيار أقل قوة من التيار الآخر، غير انه كان أكثر مرونة وأوسع دهاء وأقل مثاليـة وأبرع فى اعداد الانقلابات وخلق المواقف المحرجة [۲۶] . [صفحه ۳۱] لقد رفض على القبول بشروط عبد الرحمن بن عوف [صـفحه ۳۲] وأصـر على أن يعمل بمبلغ علمه وطاقته، ذلک انه أتسم بالعلم والمعرفة الواسـعة بالاسـلام، والى هذه الناحية الاساسية أشار المقداد بن الاسود، واتسام على بالعلم والمعرفة صار فيما بعد، أى بعد نشوء الحزب الشيعى وتطوره حجر أساس فى العقيـدة الشـيعية.وبعدما صار عثمان أميراً للمؤمنين تمهد السبيل امام بنى أمية للسـيطرة على مقاليد السـلطة للأمة الجديدة والتحكم بها، على ان ذلک لم يحـدث دون ردات فعل، ودونما ثمن باهظ كان على عثمان أن يـدفعه بدمه. وجاءت خلافة على، [صـفحه ۳۳] فكـانت أشـبه بفترة انتقـال انتهت معها فترة الخلافـة لتحل محلها على الصـعيد الرسـمى والعملى، حكم الاسـرة الامويـة الملكى، وعلى صعيـد المعارضـة الامامـة.ولن أحاول هنا التأريخ لما واجهه عثمان أيام حكمه او الاسـهاب عن خلافة على والمشاكل التى اعترضـتها، فلذلک مكان آخر ومناسـبة خاصة، وانما سأكتفى بالاشارة الى ان استلام على للحكم واتخاذه من الكوفة عاصمة له، جعل حزبه الذى تكوّن مع الايام يمارس السلطة وينظم نفسه بعض الشيء. هذا وقد نظر هذا الحزب مع الذين آمنوا بأحقية على بالخلافة الى هذا الاخير بعـد اسـتلامه الحكم، نفس نظرتهم السابقـة: رجـل له من المؤهلات ثم القرابـة ما يجعله أجـدر الناس وأحقهم بالقيادة، أى أن القرابة كانت مزية من المزايا، انما لم تكن بحال من الاحوال المنطلق والقاعدة الاساسية.وبعد اغتيال على، ووصول معاوية الى أن يكون «أمير المؤمنين» كما كان أبوه «سـيد أهل الجاهليـة» حرمت شـيعة على (حزبه) من الحكم، وغدا أفرادها رجال المعارضة الملاحقون من قبل السـلطة. وقـامت جماعـة الشـيعة بمبايعـة الحسن بن على خليفـة بعـده، لكن الحسن تنازل لمعاويـة ثم ما لبث أن أغتيل، فتوجه الشـيعة بأبصـارهم نحو أخيه الحسـين. وفى خلال هـذا الوقت ثبت فى أذهان الناس [صـفحه ۳۴] أن الخلافـة حق لعلى وأولاده، فبعـد فاجعة كربلاء لم ير بعض الشـيعة غضاضـة بالاعتراف بمحمـد بن الحنفيـة كصاحب حق فى الخلافة، وكان هذا شـعار المختار وأتباعه. وبعد اخفاق ثورة هذا الاخير أجمع غالبية الشـيعة على حصر الحق الخلافى فى أولاد على من زوجته فاطمة بنت النبى، ذلک أن تطوراً كبيراً قـد ألم بالفكر الشـيعى من كافـة الجوانب، وغـدت القرابـة هى العمود الفقرى لحق الحكم والقيادة، وهذا الحق ثابت بالنص والتعيين، ومحاط بخصائص ومزايا. فالنبى كان خاتم الانبياء وهو عنـد وفاته لم يورّث النبوة وانما ورّث قيادة الامة لعلى، وهذا ورّثها لأولاده من

بعـده. ومع وفاة النبى انقطع الوحى لكن النبى كان قـد تـدارك ذلك بأن أعطى علياً علماً خاصاً، وعلى – الـذى وصف دائماً بالعلم – ورّث هـذا العلم لابنه وهكـذا.وعلى هـذا نجـد انه بعـد استيلاء معاويـة على السـلطة حـدث تطور كبير فى الخلافة وامرة المؤمنين، فقد أصبح رأس السلطة ملكاً أو أشبه بالملك، مع احتفاظه بلقب «أمير المؤمنين» دون سواه من أصحاب السلطة، وصار زعيم المعارضة اماماً. كـذلك تطورت فكرة الامامـة تطوراً كبيراً، فقـد حـدث انشـقاق بين صـفوف الحزب الشـيعى، بحيث طورت كل جماعـة فكرة الامامة تطويراً خاصاً وحددتها بما شاءت وبما اقتضت الاحوال. [صفحه ۳۷]

على والخلافة

بعـد مصـرع عثمـان، الـذى أخفق فى تحمـل مسؤوليـات الحكم بعـد خليفـة قوى هو عمر بن الخطاب، شـغر مركز الحكم مرة أخرى، وعادت الازمـة من جديـد تفجر صـراعات وتثير تناقضات لا حـد لها، وهى أزمـة فاقت كثيراً فى خطورتها وأبعادها الازمة الاولى التى انتهت فى السـقيفة. ذلك ان مقتل الخليفـة فى أعقاب ثورة دموية قام بها الجند العرب فى الامصار، لم يكن حدثاً عادياً يمكن أن يمر دون أن يخلّف رواسب ستصـبح متأصلة فى جسم الدولة الناشئة، فتهدد وحدتها بين الحين والآخر، فهو حدث ترك تأثيره العميق على مجرى التاريـخ الاسـلامى كله، وجعـل للسـيف الكلمـة الفاصـلة فى امـور الحكم [۲۷] ولعـل مـا ينسب الى عثمـان بعـد اشـتداد وطأة المحاصـرين على داره يعبّر عن هذه الحقيقة حين قال: «فو الله لئن قتلونى لا [صفحه ۳۸] يتحابون بعدى أبداً ولا يصلون بعدى جميعاً، ولا يقاتلون بعـدى عدواً» [۲۸] .واذا كـان هـدف الثوار الـذين قادوا انقلابهم على عثمان تحرير الخلافـة من طغيان العائليـة والاحتكار لمغانم الحكم، فانهم قضوا بحركتهم دون قصد على آخر ما تبقى من نظام الشورى الذى تحول الى ملكية مطلقة فى عهد معاوية [۲۹] .ظلت عاصـمة الخلافـة تعيش فى غليان لعـدة أيام، بانتظار من يخلف عثمان فى الخلافـة.. ولم تكن المسألة بسـيطة فى ظروف حرجة كهـذه لان مسؤوليات ضـخمة ومهمات خطيرة كانت تنتظر الحاكم الجديـد وكان لا بد ان يبت بها سـريعاً قبل أن يحترق بنار الحكم. وعلى ذلك لم يكن مسـتغرباً أن يبتعـد بعض كبار السياسـيين عن المدينـة بعـدما أدركوا خطورة الوضع، تاركين معالجـة الازمة لعلى المرشـح الاوفر حظاً حينئـذ للخلافـة والـذى كان قـد بـدأ يمارس بعض اعمالها قبل مقتل عثمان [۳۰] وتردد علىّ نفسه فى قبـول هـذا المنصب حين توجه اليه الثوار وعرضوه [صفحه ۳۹] عليه بعدما رأوا ميل الغالبية العظمى اليه. ولكن تردده زال أمام اصـرار الثوار على بيعته وربما لشعوره بأن التهرب من الحكم فى مثل هذه الظروف خيانة للامة، وللعقيدة، فقد كانت فترة حاسمة فى تاريخ الاسلام، فترة فى أشد الحاجة الى رجل قوى كعلى، ارتبط تاريخياً بالاسلام منذ ظهوره. وثمة شىء آخر هو ان علياً كان السياسى الذى يحظى بتأييد الغالبيـة فى المدينـة والزعيم الـذى يمكن ان يتفق عليه بقيـة الزعمـاء.اجتازت الازمـة بعض خطورتها بتوليـة على مهام الخلافـة، ولكن الامور فى عهـد الخليفـة الجديد سارت فى اتجاه أكثر تعقيداً وأخذت الاحداث تتلاحق بصورة عجيبة. فقد كان هناك أكثر من عائق يعترض هذا الخليفة ويمنعه من القيام بمهماته لا سيما فى مجال التغييرات التى كان لا بد من اجرائها لازالة رواسب الحكم السابق. فقد كان عليه أن يوجـد حلًا لجميع المشاكل التى أثيرت فى عهـد عثمان وأدت الى مقتله.. وهذا معناه الاصـطدام بعدد من كبار الصـحابة ورجالات الاسـلام الـذين اصـابوا حـداً بعيـداً من الثراء زمن الخليفـة السابق، ومن الطبيعى أن تتعارض مصالحهم مع الخليفـة الجـديد المعروف عنه المثالية وشدة التصـلب فى الرأى. [صفحه ۴۰] والحقيقـة ان مهمة الخليفة الجديد كانت على جانب كبير من الخطورة، ذلك أنه لم يكن يحظى بتأييـد كل القوى السياسـية فى الدولـة يضاف الى ذلك ان بعض الذين بايعوه أخذوا يرفضّون عنه ويتطلعون كل بدوره الى الافادة من الظروف والوصول الى مكاسب معينة. ومن المدهش حقاً أن نرى اثنين من الصحابة الكبار هما الزبير وطلحة اللذين ما انفكا يكيدان ضد الخليفة السابق، أول من ينقلب على على، ويصل الامر بهما الى اتهامه بالوقوف وراء مقتل عثمان.بدأ على أولى مهماته الكبيرة، بعزل ولاة الاقاليم وكانوا موضع السخط والتذمر ووضع مكانهم مجموعة جديدة تتمتع بثقة وتنسجم مع سياسـته [۳۱] وقـد نفّـذ الجميع أوامره الخليفـة باسـتثناء والى الشام معاويـة الـذى اتخذ من قضـية الخليفة المقتول عثمان ذريعة لعدم الاعتراف

بعلى، فافتتح بذلک صفحة جديدة دامية فى تاريخ الحرب الاهلية التى شهدها حينئذ العالم الاسلامى.وكان على بدوره يدرک جيداً أبعاد المشكلة ويعرف ان القضاء على خصمه القوى المتمرس فى المنطقة الشامية [صفحه ۴۱] ليس بالامر السهل. ولكن الشام لم تكن كل هموم الخليفة الجديد، فقد كان هناک أكثر من منتحل لقضية عثمان، تصدى لعلى وراح يزرع فى دربه المتاعب. ففى الحجاز ناوءه الزبير وطلحة وكانا أصلًا من أصحاب الطموح للخلافة، وقد أيدا علياً أول الامر ثم ثاراً عليه بعد تعيين ولاة الاقاليم الجدد دون أن يكون لاى منهما نصيب [۳۲] وانضمت عائشة التى كانت تحقد على على منذ أيام النبى الى فريق الساخطين بزعامة طلحة والزبير [۳۳] وكانت غير بعيدة عن مجرى الاحداث التى أودت بالخليفة السابق، ثم انسحبت الى مكة، بعد شعورها بأن علياً سيكون الخليفة، تعمل على تجميع القوى ضده، وتستغل فى نفس الوقت لعبة التشكيک بموقف الخليفة الجديد من قتلة عثمان. واجتمع الساخطون الثلاثة فى مكة، ثم غادروها الى العراق بعد أن أدركوا صعوبة مناجزة الخليفة فى الحجاز ونجحوا فى اقناع البصرة بالانضمام الى حركتهم. ولكن هذه الحركة لم تكلف الخليفة كبير عناء، فسرعان ما خرجت قواته من المدينة (هجرى / ۶۵۶م) وتمكنت من إخضاع الثائرين دونما صعوبة فى معركة الجمل التى سميت [صفحه ۴۲] بهذا الاسم نسبة الى الجمل الذى كانت تمتطيه عائشة اثناء المعركة [۳۴] .على ان هذه الحركة برغم فشلها السريع، نجم عنها نتائج على جانب من الاهمية. ذلک ان معركة الجمل أدت الى انتهاء مدينة الرسول كعاصمة سياسية وتحويلها الى مدينة ذات مركز دينى بحت واصبحت الكوفة عاصمة الدولة الجديدة خلال الفترة القصيرة التى قضاها على فى الحكم ومن ثم المركز الاول لنشاط الحزب الشيعى طوال أجيال عديدة. كما كانت معركة الجمل أول معركة فى الاسلام يقودها خليفة بنفسه ضد اخوان له فى العقيدة [۳۵] وكان على على وهو الشديد الايمان أن يوجد حلًا لذلک ويستن تشريعاً خاصاً عرف فيما بعد بتشريع قتال أهل القبلة جاء فيه: «ليس على الموحدين سبى ولا يغنم من أموالهم الا ما قاتلوا به وعليه» [۳۶] .واذا كانت حركة المعارضة الحجازية قد لاقت الفشل سريعاً فى البصرة، فان حركة أشد خطورة كان على الخليفة [صفحه ۴۳] محاربتها فى الشام حيث معاوية العامل القوى والولاية المنضبطة والجيش المنظم.فبعد فراغه من موقعة الجمل وجه على من مركزه الجديد فى الكوفة، الدعوة الى معاوية لمبايعته واعلان الولاء له مع التهديد بأنه سيلجأ الى قتاله اذا ما استمر فى مخالفته والخروج على ارادته [۳۷] ولكن هذه الدعوة كما توقع الخليفة نفسه ومعه كبار معاونيه [۳۸] اصطدمت بتصلب من معاوية واصرار منه على تسليم المسؤولين عن مقتل عثمان. ولم يكن هذا الاصرار سوى تبريراً لخروجه على الطاعة واخفاء لما يخطط له من وراء هذه الحملة، وهو منطق كان من الطبيعى أن يرفضه على أو أى حاكم آخر، فهو الخليفة والمسؤول الاول، واليه يرجع المتخاصمون فيحكم ما بينهم.وبدأت الحرب أخيراً فى صيف ۳۶ هجرى / ۶۵۷ م وكان سهل صفين، المدينة الفراتية القديمة مسرحاً لها، وقد شهدت عدة معارک طاحنة كان يرافقها حملات دعائية مركزة من الطرفين فضلًا عن الحرب النفسية التى كان الهدف [صفحه ۴۴] منها تدعيم المعنويات واكتساب أكبر عدد ممكن من عناصر الجيش الآخر. وكان سير المعارک الاولى يتجه لصالح العراقيين الذين اصبحوا على وشک الانتصار الى أن جابهتهم المصاحف مرفوعة على أسنة الرماح، وطرح شعار التحكيم للنظر فى مسألة الخلاف بين الطرفين. فاستجاب على وهو مكره [۳۹] ، وتوقف القتال بعد جدل عنيف بين كبار قواده. وكان التحكيم مسرحية لتمييع الموقف أخرجها عمرو بن العاص أحد كبار البارزين فى معسكر معاوية. والحق ان استعدادات معاوية لم تتم فى الاطار العسكرى فقط، وانما فى الاطار السياسى أيضاً حيث أحاط نفسه بمجموعة من الرجالات الذين عرف عنهم الدهاء والبراعة فى تغيير المواقف، ومن هؤلاء عمرو بن العاص الذى انضم الى معاوية بعد مساومات طويلة جرت بين الرجلين [۴۰] .وأرغم على على القبول تحت ضغط الاكثرية فى صفوف جيشه التى كان يعوزها الانضباط وتفتقر الى روح الحماسة، فالجبهة العراقية كانت غير متماسكة وتتفجر بالتناقضات بينما كان الامر على عكس ذلک فى الجبهة [صفحه ۴۵] الشامية، حيث كان وقف القتال انتصاراً للشاميين دفع عنهم الهزيمة وجعل من زعيمهم معاوية فى مركز الند والمنافسة لعلى فى الخلافة.وكما أرغم على على القبول بمبدأ التحكيم، أرغم على اختيار ممثله فى المفاوضات وهو ابو موسى الاشعرى. بينما كان ممثل معاوية بطل عملية رفع المصاحف عمرو بن العاص، الذى

أوصاه معاويـة بقوله: «ان أهل العراق أكرهوا علياً على أبى موسـى، وأنا وأهل الشام راضون بك، وقـد ضُم اليك رجل طويل اللسان قصـير الرأى، فأخر الحزّ، وطبق المفصل ولا تلقه برأيك كله» [۴۱] والتقى الحكمان بأذرح فى دومهٔ الجندل (هجرى /۶۵۹ م) ووضح منـذ بـدء المفاوضات انعـدام التكافؤ بينهما، وما لبث الاجتماع ان ارفضّ دون نتيجهٔ، وعادت الامور الى ما كانت عليه قبل التحكيم مع فارق واحد ان مركز على أصبح أكثر تضعضعاً حيث خرج من معسكره مجموعهٔ من اثنى عشر ألفاً محتجهٔ على مبدأ التحكيم، رافعهٔ شعار «لا حكم الا لله». وهى المجموعـهٔ التى عُرفت بالخوارج وكان لثوراتها فيما بعـد تأثيراً كبيراً فى التاريـخ الاسـلامى. ولقـد أحدث تمرد هؤلاء ارباكاً فى جيش على اضـطر هذا [صـفحه ۴۶] الاـخير ان يوقف الزحف الى الشام من أجل القضاء عليهم. وقـد أدى هـذا الاقتتال الجانبى الى هـدر طاقات الجيش العراقى فى الوقت الذى اتاح الفرصهٔ لمعاويهٔ ان يسـتفيد بتعزيز مواقعه التى تعدت الدفاع الى الهجوم... وفجأهٔ انهارت الجبهـهٔ العراقيـهٔ بعـد ان دأب علىّ على ترميمها واسـتكمالها بعناصـر متجانسـهٔ موحدهٔ الولاء لوضع الامور فى نصابهـا.ولكن مشـاريع الحرب التى أريـد لهـا ان تفتـح مرهٔ أخرى أبواب الصـراع بين الشام والعراق، احبطها معاويـهٔ قبل ان تخرج الى النور. وفى غمار ذلك تسـقط ولايهٔ مصـر المهمهٔ بيد عمرو بن العاص - أحد أبرز المتحالفين مع معاويهٔ فى صـفين - ويقتل على غيلهٔ فى مسـجد الكوفهٔ (هجرى - ۶۶۱ م)، فكانت الضـربهٔ القاتلـهٔ للحزب الشـيعى بغياب قائده المؤسـس. وليس من العسـير على أى متتبع لشريط الاحداث حينئذ ان يلمح شبح معاويهٔ وراء تلك المؤامرهٔ وقد تلوثت أصابعه بالدماء. واذ أصبحت الصورهٔ أكثر وضوحاً، تحدّد الموقف بصورهٔ شبه نهائيهٔ لمصلحهٔ الحزب الاموى. [صفحه ۴۹]

الاحوال السياسيهٔ منذ اغتيال على إلى كربلاء...

اشاره

بين الحسن ومعاويهٔبويع الحسن بالخلافهٔ بعد اغتيال ابيه. وكأى حاكم جديد يتولى السـلطهٔ، أعلن برنامجه السياسى فى مسجد الكوفهٔ، وكـانت أبرز خطوطه مشـكلهٔ الصـراع مـع معاويـهٔ، ذلـك الصـراع الـذى وجـد الحسـن نفسـه منقـاداً اليـه تلقائيـاً لاعتبـارات عقائـديهٔ وسياسـيهٔ.وعلى عكس ما يعتقـد البعض من أن هذا الخليفهٔ كان عازفاً عن استئناف الحرب مع معاويهٔ، وأنه حين سار لقتال هذا الاخير كان تحت ضغوط من جماعته الكوفيين [۴۲] فالحقيقهٔ الثابتهٔ أن الحسن واجه هذا الامر بمنتهى الجديهٔ والحزم، وكان أول ما فعله بعد وصوله الى الحكم هو الاهتمام بجيشه، فدفع رواتب جنوده [۴۳] وعمل على اعدادهم اعداداً لائقاً لحرب مصيريهٔ مقبلهٔ. وهذا الجيش [صفحه ۵۰] هو نفسه الـذى أعـده على قبـل اغتيـاله للزحف به الى الشـام. ولعل بعض المؤرخين قـد خلطوا بين ما اشاروا اليه من تردد الحسن فى مجابهة هذه المشـكلهٔ وبين حذره الذى غلب على تصـرفاته. فالتردد شـىء والحذر شـىء آخر. وهذا الموقف كان نابعاً فى المقام الاول من عـدم ثقته بالزمرهٔ السياسـيهٔ التى حاطت به وكان لا بـد من الاعتماد عليها فى مطلق الاحوال [۴۴] فهى مركز الثقل فى الكوفـهٔ بما تمتلكه من رجال وأموال، وهى فى الواقع تقرر الموقف الذى تريد [۴۵] على ضوء ما تراه منسجماً مع مصالحها وامتيازاتها فى المدينـهٔ.فـالحسن كمـا نعرف عـاش عن كثب تجربـهٔ الحرب فى صـفين وما صاحبها من مؤامرات، وخبر جيـداً أساليب معاويـهٔ فى امتلاك قلوب هـذا النوع من الرجال [۴۶] الـذى كـانت مصالحه فوق المبادئ وفوق المثل. ولم يكن [صـفحه ۵۱] مفاجئاً أن يتحول هؤلاـء الـذين عرفوا بالاشـراف فيمـا بعـد الى مطيـهٔ للنظام الاموى يقاتلون فى صـفوفه، نفس الحزب الـذى كانوا من أركانه أيام على والحسن.فالحسن اذا لم يساوره أدنى تردد او تخاذل فى موقفه من الحرب مع معاويـهٔ، ولكنه كان شديـد الحذر من جماعته، غير واثق من ولاـئهم واقتنـاعهم بفكرهٔ الحرب. ولا بـد لنا هنا من أن نتصور أيـهٔ مهمـهٔ مسـتحيلهٔ كانت بانتظار الحسن ليخوضـها بجيش مفكك العناصـر، مضطرب الولاء، موزع الانتماءات قبلياً وعشائرياً.بهذه التركيبهٔ العجيبهٔ من المقاتلين التى لم يدخلها سوى قلهٔ مؤمنهٔ ومخلصهٔ، سار الحسن لقتال الجيش الشامى القوى والانضـباطى - الـذى وصف معاويـهٔ عناصـره يوماً بأنهم «أطوع جند وأقلهم خلافاً» [۴۷] وهو

يـدرك جيـداً ان المتـاعب لن تأتيه من أعـدائه فقط، بل من الانتهازيين داخل جيشه أيضاً الـذين يظهرون غير ما يسـرون [۴۸] ، فكان ذلك يزيد من شجونه ويزيد الامور تعقيداً. [صفحه ۵۲] وكان معاوية قد أدرك بدوره نقطة الضعف هذه في جيش الحسن فاستغلها ببراعة وأخذت مناوراته ودسائسه تفعل فعلها في أوساط المترددين وهم كثرة، وتمكن من تأليب كبار القواد عليه وتخذليهم عنه بشتى المغريات.ولعل من أقسـى ما تعرض له الحسن تواطؤ قائده وابن عمه عبيد الله بن عباس مع معاوية وتسـلله الى معسكره ليلاً ومعه القوة الاساسية من الجيش [۴۹] وأخـذت الأوضاع تتحرج اكثر فأكثر في جبهة الحسن الممزقة حتى وصل الامر الى حد بأن تجرأ عليه بعض جنده فهاجموه في فسطاطه [۵۰] ، وكمن له رجل متطرف من بني أسد اسمه الجراح بن سنان فأصابه بجرح بليغ في فخذه [۵۱] فتراجع الحسن حينئذ الى المدائن لينشغل في مداواة جراحة. كل هذا في الوقت الذي كان فيه معاوية ناشـطاً في محاولة اسـتقطاب المزيد من رجالات الحسن [۵۲] وفي تصعيد حملاته النفسية في صفوف أعدائه. [صفحه ۵۳] وتحت تأثير هذه الظروف المأساوية المؤلمة، ولما آل اليه وضع الجيش العراقي، وفي غمرة هذا الجو المشحون بالتشاؤم في امكانية الصمود والامل بالنصر، استجاب الحسن أخيراً وهو مرغم لعروض معاوية من أجل الصلح بعد أن أبدى هذا الاخير استعداده للموافقة على جميع ما اشترط عليه [۵۳] .أثارت قضية الحسن ولاـ تزال الكـثير من الجـدل. فمن مبـالغ متطرف في تقـدير مـواقفه واجلالهـا، الى منتقـد ظـالم اكتفى بـالنظرة السـطحية الى مجريـات الاحداث وتغاضـي عن كل الايجابيات. وبالنتيجة كانت شخصـية الحسن عرضة لتقويم خاطئ وغير منصف. والحق أنه وجدت هناك أسـباب لا ينبغي لأحد تجاهلها في هذا المجال لأنه كان لها الدور المؤثر في عملية الصراع الذي دار بين الحسن ومعاوية او بين العراق والشام باتخاذه بعـداً اقليمياً بدأ في صـفين وتركز بعد تنازل الحسن ثم تعمق في كربلاء وتحول الى صـراع تقليدي على مدى بعيد من الزمن. ومن هذه الاسـباب:۱ - فقـدان القيادات الشـعبية المخلصـة التي برزت [صـفحه ۵۴] مع علي، القـادرة على تحريـك الجماهير وضـبطها، ابتـداء بعمار بن ياسـر وانتهاء بالاشتر النخعي، فقـد أفلت الزمام في جيش الحسن لافتقاده الى القيادات الفعلية، وهذا الشـيء نفسه سـيتكرر مع مسـلم بن عقيل في الكوفة.۲ - أدرك الحسن ان موازين القوى غير متكافئـة بينه وبين أعـدائه خاصـة بعـد التخلخل الـذي أصاب جيشه وظهور الانتهازية فيه. من هنا رجّح خسـران المعركة عسـكرياً ووجد ان المخاطرة بجيش ضـعيف وممزق سـتؤدي الى ضـرب الحزب الشيعي بكامله وانهيار البقية الباقية من رجالاته المخلصين. وكان هذا بدون شك تقديراً سليماً وبعد نظر من جانب الحسن. وعلى ذلك سـنجد ضمن ما اشترطه على معاوية بعد توقيع الصلح اعلان العفو العام، لانه لم يشأ أن يدع تلك النخبة [۵۴] من الحزب في مواجهة معاوية دون أية ضمانات.

معاوية و تحويل الخلافة الى ملك وراثي

بعـد تنازل الحسن، سـقطت آخر معاقل الخلافة الراشدية، وبدأت مرحلة جديدة في تاريخ الاسـلام مختلفة تماماً في أبعادها ومناهجها عن المرحلـة السابقـة. وغدت دمشق مركز الحكم وعاصـمة الخلافة الاموية التي أرسـى قواعدها معاوية. ولقد كان هذا الاخير يمتلك طموحاً بعيـداً، فانصـرف بكل ما أوتي من جهود الى بناء مجتمع جديـد، مطبوع بشخصـيته المكيافيلية، ومتأثر برواسـبه القبلية الى أبعد حـدود التأثر.كانت مشـكلة الحكم من أهم ما التفت اليه معاويـة، ولم يقعـده بلوغ الخلافـة وتحقيق أحلامه في السـلطة عن التفكير بها ومحاولـة الوصول الى حل جـذري لها. وقـد رأى في تجارب الخلفاء الـذين سـبقوه، والازمات التي مرت بها الخلافة، مسوغاً لاحداث تغييرات أساسـية في نظام الحكم، بتحويله من نظام قائم على الشورى الى ملكي أوتوقراطي أو بمعنى آخر من حكم اسلامي ديني الى سياسـي دنيوي [۵۵] .وكـانت أبرز جوانب هـذه المشـكلة برأي معاويـة، مـا [صـفحه ۵۶] يمكـن ان يتمخض عـن هـذه التغييرات من معارضـة، ربمـا تؤدي الى حرب أهليـة. فـالحسن منـافسه لاـ زال في المدينـة ووراؤه حزب كبير، لن يقبل بأي اجراء يجعل من الخلافة ملكـاً متوارثاً لبني أميـة، فضـلاً عن ان ذلك مناقض للمعاهـدة التي عقـدت بين الحسن ومعاويـة [۵۶] وكـذلك فان الاحزاب الاخرى ستنفر من هـذه الفكرة وسـتقابلها بالرفض.ولكن معاويـة لا تقلقه كثيراً هـذه التصورات فهو يعرف جيـداً ماذا يريـد، ولديه من اخلاص

جنوده الشاميين ما يدفعه لتنفيذ مخططاته مهما كان السبيل الى ذلك. بدأ أولاً بتصفية الحسن فأزاح بهذا منافساً رئيسياً من طريقه [٥٧] وانتشر رجاله فى أقاليم الدولة يبشرون بفكرة الوراثة ويمهدون لقبول الناس بيزيد خليفة بعد أبيه. وكانت مهمة صعبة أمام هؤلاء، لم تقتصر على الاقناع بالمبدأ فقط، ولكن أيضاً حول صلاحية الشخصية المرشحة لولاية العهد التى لم تكن بنظر الناس مؤهلة لتولى منصب حساس كالخلافة. [صفحه ٥٧] على أن ولاية العهد رغم ما أثارته من استهجان فى أوساط المسلمين، فقد تمكن معاوية بواسطة أجهزته من أخذ البيعة ليزيد بغير صعوبة فيما عدا اقليمين كان يعرف هو سلفا موقفهما وهما: العراق والحجاز. الاول لرفضه الخلافة الاموية أساساً والتزامه بقضايا مختلفة تماماً، تحركها عوامل سياسية واقليمية واضحة. والثانى كانت لديه نفس الاعتبارات تقريباً مع فارق واحد يعطى له أهمية خاصة بالنسبة لمعاوية. فهو مهد الاسلام ومركز العاصمة الاولى للخلافة وملتقى كبار رجالات الاسلام الذين تمتعوا بالاحترام والتأييد الشعبى الواسع.واذا كان العراق الذى افتقر حينئذ الى القيادات الفعلية، قد أرغم بمعظمه على البيعة تحت وطأة السلطة الحديدية التى كان على رأسها زياد بن أبيه، فان الحجاز كان له موقفاً أشد صلابة عندما رفض ثلاثة من زعمائه الكبار البيعة ليزيد وهم: الحسين بن على وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير [٥٨] .كان هؤلاء - وهم جميعاً أبناء صحابيين كبار، تولى اثنان منهم (عمر وعلى) الخلافة والثالث (الزبير) نازع علياً عليها وقتل فى معركة الجمل - يحظون بمكانة عالية [صفحه ٥٨] فى الحجاز لا سيما الحسين الذى كان اكثرهم قدرة على تحريك الناس ضد معاوية والامويين. ومن أجل ذلك قرر معاوية أن يجابه الموقف بنفسه فى الحجاز ويخوض معركة ولاية العهد مباشرة، فذهب الى المدينة على رأس ألفى فارس وألقى فى مسجدها خطبة أشاد فيها بشخصية يزيد المؤهلة - بنظره - لتولى الخلافة، ثم غادرها الى مكة حيث انتقل اليها الزعماء الثلاثة ليبحث معهم مسألة ولاية العهد وليأخذ البيعة منهم طوعاً أو كرهاً. وكان هؤلاء قد كلفوا ابن الزبير محاورته باسمهم فرد عليه وأنكر محاولاته فى خرق الشرعية والخروج على سنة الأوائل من الخلفاء. وكان معاوية حاداً فى جوابه لابن الزبير اذ قال له مهدداً «أقسم باللّه لئن رد على أحد منكم كلمة فى مقالى هذا لاـ ترجع اليه كلمة غيرها حتى يسبقها السيف الى رأسه فلا يبقين رجل الا على نفسه» [٥٩] وكان أيضاً مناوراً كعادته حيث جمع الناس فى المسجد وخطب فيهم: «ان هؤلاء - ويقصد بهم الثلاثة الممتنعين - قد رضوا وبايعوا ليزيد، فبايعوا على اسم الله» [٦٠] .وكانت مداهمة معاوية لهؤلاء الزعماء واحراجهم [صفحه ٥٩] باعلان بيعتهم دون أن يأخذ منهم تصريحاً بذلك نهاية المطاف بالنسبة للجدل الذى أثير حول ولاية العهد. ولم يكن أمام زعماء الحجاز الاـ التسلح بالصبر والانضمام الى فريق الساخطين الذى أخذ حجمه يزداد يوماً بعد آخر، بانتظار الظروف الملائمة للتعبير بالوسائل السلبية عن الرفض المطلق لنظام الوراثة فى الحكم الذى ابتدعه معاوية.

الاحوال السياسية داخل العراق

لنعد الى الوراء قليلًا، الى بدايات التحرك الشيعى فى العراق بعد استسلام هذا الأخير الى معاوية. وهو استسلام لم يكن فى جوهره أكثر من استجابة للامر الواقع واعتراف اكراهى بالخلافة الاموية. فقد كانت هذه التغييرات السياسية تحمل فى صميمها، الكارثة للعراقيين الذين التزموا مصيرياً بالقضية العلوية ووقفوا الى جانب على الذى جعل من عراقهم مركز الحكم فى الاسلام، بما يعنيه ذلك من أهمية سياسية واقتصادية وما يعكسه من شعور بالتفوق، أصبح الآن أكثر وضوحاً من قبل.واذ ينقلب الموقف وتتحطم الاحلام وتنهار المكاسب، كان لا بد من تقويم لما جرى ووضع الامور فى نصابها. وفى غمرة ذلك وجد العراقيون أنفسهم يتحملون وزر هذا المصير الذى آلوا اليه، ويتبعون بأسى الصورة القاتمة [صفحه ٦٠] لمستقبلهم السياسى فى ظل السيادة الاموية. ولم يكن هنالك ادنى ريب فى أن أية مقارنة بين النظام السابق والنظام الجديد ليست فى بال على الاطلاق. فمعاوية ما كاد يستتب له الامر فى العراق، حتى انهارت تلك الصورة الزائفة التى اقترنت بها شخصيته، القائمة على الحنكة والدهاء.. فاذا به فى العراق انساناً آخراً ونموذجاً مختلفاً.وكان معاوية يعرف جيداً أن أقلية ضئيلة فقط بايعته ربما على قناعة أو سعياً وراء مصلحة خاصة. أما الغالبية فقد بايعته مكرهة

وتحت التهديد. وكان يعرف أيضاً أن هذه الفئة الرافضة بمختلف فصائلها ستنقلب عليه، ان لم يكن اليوم فغداً.أخذت ملامح السياسة الجديدة للخليفة الاموى، القائمة على التحدى والاستفزاز والمبادرة بالعنف، تتبلور بالنسبة للعراق وتوحى بأن أحداثاً خطيرة سيشهدها هذا الاقليم. فقد أرسل معاوية أحد البارزين فى نظامه وهو المغيرة بن شعبة، والياً على الكوفة ومعه صلاحيات مطلقة، وتوجيهات بشتم على من فوق منبر المسجد، ومراقبة تحركات زعماء الشيعة وملاحقة المتحمسين منهم للقضية العلوية [۶۱] ولقد نفذ المغيرة باخلاص تعليمات سيده، [صفحه ۶۱] ولكن بأسلوبه المرن الذى عرف عنه. فشغل الكوفيين بحرب الخوارج ودفع بصفوة زعمائهم الى أتونها، ليصرفهم عن مقارعة السلطة واثارة المشاكل ضدها. وقد لاقت سياسته نجاحاً نسبياً فى هذا المجال، ولكن التجرؤ على مهاجمة الخليفة الراشدى لم يستسغه الكوفيون ووجدوا فيه اهانة صريحة لهم وانتهاكاً لقيمهم ومعتقداتهم. وكان أن اصطدم المغيرة بعدد من زعمائهم كحجر بن عدى أحد أبرز رجالات قبيلة كندة الشهيرة وأول من ثار بشدة على سياسة التجريح بالخليفة السابق، وصعصعة بن صوحان من بنى عبد القيس [۶۲] الذى نفى بأمر من المغيرة – بعد أن ضاق بمعارضته – ومات فى منفاه [۶۳] .ورغم ما أظهره المغيرة من براعة فى حكم مدينة تعج بالمتطرفين من أعداء النظام الذى يمثله، فان ذلك لم يعجب معاوية، الذى أخذ عليه تساهله مع العلويين وبشكل خاص موقفه ازاء حجر بن عدى [۶۴] ويحلل المغيرة هذا الموقف أمام منتقديه من أقاربه وامام معاوية [۶۵] بأنه تقدم فى السن ولا يجب أن يبتدأ عمله فى الكوفة بسفك دماء رجالها وقتل زعمائها [۶۶] . [صفحه ۶۲] ولم يكن شأن البصرة بمختلف عن الكوفة، فهى رغم عدم مماشاتها هذه الاخيرة بنفس الحماسة فى قضاياها السياسية، فان موقفها من النظام الاموى كان معروفاً ولم يتعد حدود التسليم بالامر الواقع. لذلك لم يكن عبد الله بن عامر، الوالى المعين فى البصرة، الشخصية المؤهلة، بنظر معاوية، لتنفيذ سياسته العراقية. وأخذ حينئذ يبحث عن شخصية قوية يعهد اليها بحكم العراق بكامله حيث ضاق ذرعاً بسلوك المغيرة فى الكوفة، فوجد أن أفضل من يقوم بهذا الدور هو زياد بن أبيه عامل على السابق على فارس، وكان لا يزال يحتفظ بمنصبه ويرفض الاعتراف بمعاوية. واستطاع معاوية اقناعه بالانضمام اليه وذلك بعدما استلحقه بأسرته [۶۷] وقد شغل المغيرة دوراً بارزاً فى اقناع زياد بالتخلى عن رفضه للنظام الاموى والانقلاب الى التعاون معه.ولم يلبث زياد أن صار أميراً على البصرة (هجرى) فنجح فى مهمته الى حد كبير، وأدى لمعاوية فوق ما يتطلبه من خدمات. وكانت خطبته الشهيرة (البتراء) التى فاجأ بها أهل البصرة مؤشراً لسلوكه الجديد وبرنامجاً واضحاً لسياسته العراقية المقبلة التى ستمتد على كل العراق بعد وفاة المغيرة [۶۸] وانتقال الكوفة اليه. [صفحه ۶۳] والامر الذى يثير الاستغراب بالنسبة لزياد، ذلك التحول المذهل من نقيض الى آخر. فبعد ان كان من أشد المؤيدين لعلى – الذى اختاره، لكفاءاته الادارية والسياسية، حاكماً على فارس دون الالتفات الى تصنيفه الاجتماعى – أصبح من أشد المتعصبين تطرفاً ضد العلويين، ومنسجماً الى أبعد حدود الانسجام مع معاوية فى أساليبه الانتهازية [۶۹] ففى نفس السنة [۷۰] التى جمعت فيها الكوفة لزياد افتتح نشاطه المعادى للشيعة بالقبض على حجر بن عدى [۷۱] وارساله الى دمشق حيث جرت له تصفية جسدية مع عدد من رفاقه على يد معاوية [۷۲] .لم يمر استشهاد حجر – دفاعاً عن مبادئه والتزاماً بمواقفه التى رفض أية مهادنة على حسابها – دون أن يثير موجات شديدة من الغضب فى صفوف الشيعة، خاصة فى الكوفة. ولم تستطع قبضة زيادة الحديدية اسكات المعارضة التى أخذت فى التبلور حينئذ. وعلى عكس ذلك [صفحه ۶۴] فقد أدى مقتل الزعيم الكوفى الى ولادة الحزب الشيعى، بأبعاد جديدة ومفاهيم سياسية وعقائدية خاصة. وفى خلال عشر سنوات أتيح لهذا الحزب أن يعبر هذه المحنة بصبر، وأن يجتاز هذا المناخ الارهابى وهو أكثر صلابة وأقوى ايماناً. [صفحه ۶۵]

خلافة يزيد و تحرك الحسين

مات معاوية فى العام الستين للهجرة، وفى نفسه شىء من الملك، بعد أن تربع على رأس السلطة أربعين عاماً كاملة نصفها كأمير والآخر كخليفة. ولعله شعر بالاطمئنان فى قرارة نفسه الى دوام الملك واستمرارية الخلافة فى أسرته بانتقال الامر من بعده الى يزيد. ولكن هذا الاطمئنان كان مشوباً بالقلق على مصير البنيان الذى شيده بالقوة وبنفاذ الصبر. فلم يكن هناك أى مجال للمقارنة بين الاب،

السیاسی الذکی وبین الابن، الأرعن الغارق فی العبث واللهو والمجون. وشاء معاویة أن یغیر هذه الصورة التی التصقت بابنه، فأقحمه فی غمار مسؤولیات أثبتت الایام انه عاجز کل العجز عن تحملها. فقد أرسله حاجاً الی مکة [۷۳] ووضعه علی رأس حملة القسطنطینیة الضخمة. ولکن لا فریضة الحج صبغته بالوقار، ولا قیادة الحملة [صفحه ۶۶] جعلت منه قائداً عسکریاً لامعاً. فالصورة التی فی أذهان الناس ظلت کما هی تأبی أن تتغیر.تسلم یزید الخلافة اذاً، ومعها میراثاً ثقیلًا من المشاکل، کان معاویة قد نجح فی تجمیدها أو تأخیر انفجارها. ومن أبرز هذه المشاکل، مشکلة الخلافة نفسها. فهناک أکثر من طامح یتحین الفرصة المناسبة للوثوب فی سبیلها. ففی مکة اعتکف عدد من زعماء العرب من أبناء الخلفاء السابقین وغیرهم، احتجاجاً علی خلافة یزید وتکریساً لعدم اعترافهم بها. وفی الکوفة، مرکز الحزب الشیعی الذی سار شوطاً مهماً فی عملیة البناء التنظیمی، اتخذت الامور بعداً آخراً تعدی الاحتجاج والرفض الی الثورة الشعبیة.والواقع ان ملامح التحرک فی الکوفة بدأت فی وقت سابق أیام معاویة. فقد ذهب أکثر من وفد من الحزب الی المدینة وبحث مع الحسن فی شأن الثورة. وها هو سلیمان بن صرد الخزاعی یخاطبه باسم أحد الوفود: «فان شئت فاعد الحرب جذعة، وأذن لی فی تقدمک الی الکوفة. فأخرج عنها عاملها وأظهر خلعه، وتنبذ الیهم علی سواء ان الله یحب الخائنین» [۷۴] . [صفحه ۶۷] ولکن الحسن کان یری حینئذ أن الاسباب التی دفعته الی التنازل لازالت قائمة، والظروف نفسها لازالت مهیمنة وسط جو من الارهاب أکثر ما یصیب العراق، الخزان البشری الاول لایة ثورة شیعیة مرتقبة.ولنستمع الی قول الحسن امام ممثلی الحزب:«ما أردت بمصالحتی معاویة ألاـ أن أدفع عنکم القتل عندما رأیت من تباطؤ أصحابی عن الحرب» [۷۵] .أو قوله:«... فصالحت بقیا علی شیعتنا خاصة من القتل، ورأیت دفع هذه الحرب الی یوم ما [۷۶] .کان الحسن صادقاً فی تصویر الموقف الی حد کبیر. فهو کزعیم لهذا الحزب یتحمل مسؤولیة أی تحرک قبل غیره. وأی فشل فی ظل هذه الظروف قد یؤدی الی تدمیر الحزب والقضاء علیه نهائیاً.وکان هذا رأی الحسین أیضاً حین تسلم زعامة الحزب فآثر عدم الثورة فی عهد معاویة، والانصراف الی تنظیم الحزب واعداد عناصره اعداداً جیداً بحیث یصبحون [صفحه ۶۸] علی قدر من النضج والوعی قبل القیام بأی نشاط علنی.ولا بد من الاعتراف بأن مهمة الحسین لم تکن سهلة أبداً. لان أجهزة معاویة کانت علی جانب کبیر من الخبرة والحذر الامر الذی کان یجعل من اتصالات الحسین أمراً عسیراً للغایة، خاصة فی الفترة التی خضعت فیها الکوفة لزیاد بن أبیه. وکان العامل الجغرافی یزید الامور تعقیداً، بابتعاد قواعد الحزب عن قیاداته بحیث سیکون لهذا العامل الاثر الاکثر أهمیة فی اخفاق ثورة الحسین وغیرها من الثورات الشیعیة فیما بعد.بعد تسلم یزید زمام الحکم أحس الجمیع أن ثوب الخلافة فضفاضاً علیه، حیث کان ینقصه الکثیر من ذکاء أبیه وحساباته الدقیقة للامور، وکان ذلک فرصة مناسبة للحزب الشیعی فی الکوفة بأن یتحرک.. فجرت اتصالات مع زعیم الحزب فی الحجاز، وکان حینئذ یتعرض لمجابهة من قبل ممثل السلطة الامویة فی المدینة الولید بن عتبة، الذی تلقی أوامر الخلافة بالسعی الی انتزاع الحسین ورفاقة الرافضین بأی ثمن.ولا یتَخلی الحسین عن فطنته وبعد نظره، وهو ذاهب لمقابلة الولید علی رأس مجموعة مسلحة من أتباعه تحسباً لای طارئ [۷۷] وبجرأة متناهیة رد علی الوالی [صفحه ۶۹] بحضور شیخ بنی أمیة مروان بن الحکم: «ان مثلی لا یعطی بیعته سراً، ولا أراک تجتزیء بها منی سراً دون أن تظهرها علی رؤوس الناس علانیة» [۷۸] .أدرک الولید ما وراء کلمات الحسین من اصرار علی الرفض، ولم یشأ أن یتمادی فی الحوار معه أکثر من ذلک، متجاهلاًـ نصیحة مروان الذی أشار علیه: «احبس الرجل ولا یخرج من عندک حتی یبایع أو تضرب عنقه» [۷۹] ... وفی صباح الیوم التالی کان الحسین قد رحل الی مکة.وهناک شعر بوطأة السلطة تخف عن کاهله قلیلًا، ولکن رحلته لم تقف عند هذا الحد.. فلم تکن هرباً من البیعة وانما مواجهة مصیریة لمسؤولیاته ولقاء حاسماً مع دوره التاریخی الذی کان فی انتظاره.فی مکة عاش الحسین مستغرقاً فی أفکاره وتأملاته لتکوین صورة واضحة للموقف النهائی. وفی الکوفة کان أرکان الحزب الشیعی یجتمعون فی منزل سلیمان بن صُرد الخزاعی حینما تناهی الیهم خروج زعیم الحزب الی [صفحه ۷۰] مکة [۸۰] ، فقرروا أن الظروف مواتیة للتحرک. فکتبوا الی الحسین یطلبون منه القدوم وتسلم قیادة الثورة.أخذت الرسائل تتوالی علی الحسین – وأکثرها من زعماء الیمانیة البارزین – وفیها الحاح بعدم التأخر. وانتظر الحسین وقتاً ریثماً یستکمل دراسته للموقف، ولم یکن ذلک تردداً وانما

تحسباً لا بـد منه. فخروجه على النظام الاموى بات أمراً لا جدال فيه، لان يزيداً لن يدعه الا اذا بايع له، وقراره بشأن البيعة لا عدول عنه فالمصادمـة بينهما اذاً واقعـة وحتميـة.وانطلاقاً من هـذا الشعور قرر الحسين ارسال أحد معاونيه وثقاته وهو مسـلم بن عقيل الى الكوفة ليطلع عن كثب على الموقف ويمهد له الطريق. وأرسل أيضاً مندوباً آخر الى البصرة حمّله صورة عن البرنامج السياسى للثورة ورسائل الى زعمائها أمثال الأحنف بن قيس والمنذر بن الجارود ومسعود بن عمرو وقيس بن الهيثم [۸۱] بهدف توسيع رقعة الثورة وفتح أكثر من جبهة ضد الامويين.ولكن الامور لم تسر فى البصـرة كما فى الكوفة، فقد وصل مسـلم هذه الاخيرة وحل فى منزل المختار بن أبى عبيد الثقفى وهو أحد زعماء الحزب الشيعى [۸۲] . [صفحه ۷۱] ومن هناك أخذ يجرى اتصالاته مع بقية الزعماء بسرية تامة، حتى اذا اسـتكمل هذه الاتصالات وضـمن التأييد الكافى للتحرك كتب الى الحسين يطلب منه القدوم.غير أن اسـتخبارات السـلطة وقفت على نشاط مسـلم ورفعت تقريراً عنه الى أمير الكوفـة النعمان بن بشـير الانصارى، وكان معروفاً باعتـداله، فرفض أن ينساق مع زبانيـة النظام باتخاذ أى اجراء ضد مسـلم. فرفع هؤلاء تقريرهم مباشـرة الى يزيد وفيه تحذير من نشاط مسـلم ورغبة باستبدال واليهم الضعيف، بآخر قوى قادر على العنف ولا يرتبك من سـفك الـدماء.وكان ذلك أول امتحان لخلافـة يزيد، أثبت صـحة ما قيل فى شخصـيته الانفعالية وفى كفاءته المحـدودة فى عالم السـياسة. فقـد سارع الى عزل النعمان بن بشـير فوراً، وتسـمية واليه على البصـرة عبيد الله بن زياد والياً على الكوفـة بالاضافة الى منصبه. وكان هذا ما تمناه زبانية النظام والمسـتفيدين من خيراته، فهذا الرجل خريج بارز من مدرسة العنف التى كان أبوه زياد أول مؤسسيها فى العراق، ولعله كان أكثر تطرفاً وأشد عنفاً من أبيه.أثبت عبيد الله أنه على اسـتعداد دائم لاية مهمة يكلفه بها الخليفة، وكان هو على علم بتحركات الحزب الشـيعى [صـفحه ۷۲] عن طريق أحد الذين راسـلهم الحسين [۸۳] وكان هذا كافيـاً لاجهـاض أيـة مبـادرة من البصـرة للمشاركـة فى التحرك. وبعـد أن غادر هـذه الاخيرة الى الكوفـة عين عليها نائباً عنه هو أخوه عثمان بن زياد [۸۴] وأوصاه باستعمال الشـدة والحزم.وفى الكوفـة، حيث انتقل اليها عبيـد الله ملثماً وعلى رأسه عمامة سوداء، أخذت الامور تنعقـد على جبهـة الحزب الشـيعى وتلاحقت الاحـداث فيها بسـرعة مذهلـة. فقد كان الناس حينئذ يترقبون وصول الحسين بين لحظـة وأخرى، حتى انهم اعتقـدوه ذلك الملثم الـذى ظهر فى الكوفة. وبعد وصوله الى قصـر الامارة أحاط ابن زيادة نفسه بالشـرطة، ومن هناك أخـذ يخطط لانقلابه، مسـتفيداً من البلبلة التى خلقها ظهوره فى الكوفة. بدأ أولاً بنشـر جواسيسه فى المدينة لمعرفة مكان مسـلم بن عقيل، حتى علم أخيراً انه فى منزل هانى بن عروة [۸۵] أحد الزعماء الشيعيين، فاستدعى هذا الاخير وسأله عن مسلم، فأنكر وجوده فى بيته. غير أن ابن زياد فاجأه بالجاسوس الـذى شاهده فى داره [۸۶] ، [صفحه ۷۳] فاعترف هانى حينئذ ولكنه رفض تسليمه وأصـر على ذلك رغم السـجن والتعذيب «والله لو لم أكن الا واحداً ليس لى ناصر لم أدفعه حتى أموت دونه» [۸۷] .وفى تلك الاثناء كان ابن زياد يقوم بحملـة اعلاميـة واسعـة لاسـتعادة زمام الموقف الـذى أفلت، وفق مخطط ذكى وتكتيك بارع. فأوهم رؤساء القبائل بـأن جيوشـاً عظيمـة من الشام تشق طريقها الى العراق [۸۸] ، ونثر رجاله فى شوارع الكوفـة لتخـذيل الناس عن مسـلم ومحاولـة التأثير عليهم نفسـياً باشاعـة جو من الذعر والخوف [۸۹] وقـد أعطت هـذه الحملة نتائجها الايجابية، ووجد رسول الحسين نفسه أخيراً فى قلة قليلـة جداً من الانصار [۹۰] وفوجئ بشـرطة ابن زياد يقودها محمـد بن الاشـعث تلقى عليه الحصار، فقاوم ببطولـة ولكن دول جدوى. وسـيق أخيراً الى قصر الامارة ليواجه مصيره بنفس الشجاعة البطولية [۹۱] ثم جىء برفيقه هانى بن عروة من سـجنه وقد أنهكوه تعذيباً، وحمل الى السوق حيث أعدم أمام [صفحه ۷۴] جمهور من الناس [۹۲] وقبل أن ينبلج صباح اليوم التالى كان رأساً مسلم وهانى أول شهيـدين فى ثورة الحسين، مغروسين على أسـنة الرمـاح فى طريقهما الى دمشق.سارع ابن زياد الى تطويق ذيول ما يمكن أن يحـدثه مصـرع الزعيمين الشـيعيين من ردة فعل فى الكوفة، فأبعد عنها عدداً من المتعاونين مع مسـلم وقبض على أشدهم خطورة وزج بهم فى السـجن من أمثال المختار بن ابى عبيـد الثقفى وسـليمان بن صُرد الخزاعى والمسيّب بن نجبه الفزارى وغيرهم [۹۳] واختفت فئة من هؤلاء، فلم تتمكن منها شرطة ابن زياد وجواسيسه.. وأما الذين استهوتهم اغراءات أمير الكوفة، فقد انضموا الى جانب السلطة وأصبحوا جزءاً من النظام الحاكم وصاروا يشكلون طبقة لها امتيازاتها الخاصة عرفت بطبقة الاشراف.والواقع ان الانقلاب الذى قاده ابن زياد ضد

مسلم فی الکوفة لم یکن یخلو من مغامرة. وقد ساعدته عدة عوامل علی نجاح انقلابه وافشال حرکة مسلم أهمها شخصیته السیاسیة الصارمة التی شابهت الی حد کبیر شخصیة أبیه، ثم الترکیب القبلی فی الکوفة ونجاح [صفحه ۷۵] أمیرها فی شق الوحدة السیاسیة لاکثر من قبیلة واستقطابه عدد غیر قلیل من رؤساء القبائل. وأخیراً فان التزام مسلم بخط اخلاقی واضح، هو خط الثورة التی کان یبشر بها جاء فی مصلحة ابن زیاد الذی استغل الظروف بأسلوب مناقض تماماً، فی وقت کانت فیه المبادرة فی ید مسلم، وکان بامکانه أن یبطش بعدوه [۹۴] ولکن اخلاقیته واطمئنانه الی موقف الکوفة دفعاه الی اضاعة هذه الفرصة المهمة من یده.وبذلک انطوت الصفحة الاولی من المأساة التی توّجها الحسین بسقوطه فی کربلاء دون أن تتم فصولاً. وفی تلک الاثناء کان الحسین قد غادر الحجاز (فی الثامن من ذی الحجة سنة ۶۰ هجری) متجهاً الی الکوفة ومعه نفر قلیل من أهله الاقربین، وهو لا یعلم من تفاصیل ما جری فی المدینة سوی أخبار الثمانیة عشر ألفا الذین بایعوا مسلماً علی الموت [۹۵] وقد یقول قائل أن خروجه تم قبل جلاء الصورة تماماً فی الکوفة، ولکن ألم تکن تکفی الاحتیاطات التی اتخذها والضمانات التی حصل علیها؟. وهل کان بامکانه أن یسلک طریقاً آخراً حینئذ طالما أصر [صفحه ۷۶] علی عدم الاعتراف بخلافة یزید؟ ثم هل کان خروجه مجرد حدث طارئ أو انفعال عفوی دون برنامج سیاسی محدد وأهداف اجتماعیة واضحة؟. ألم یأتی ذلک کله فی وصیته الی أخیه محمد بن الحنفیة؟ حین قال له: «انی لم أخرج اشراً ولا بطراً، ولا مفسداً، ولا ظالماً، وانما خرجت لطلب الاصلاح فی أمة جدی، أرید أن آمر بالمعروف وانهی عن المنکر. فمن قبلنی بقبول الحق فالله أولی بالحق، ومن رد علی هذا أصبر حتی یقضی الله بینی وبین القوم بالحق، وهو خیر الحاکمین» [۹۶] .وفی الطریق کان أول تقریر عن الکوفة قد وصله من الفرزدق [۹۷] حیث وضع أمامه الحقائق بکل مرارتها. ثم انجلت الصورة أکثر بلقاء عبد الله بن مطیع وکان قادماً من العراق حیث تشبث به وناشدة العودة [۹۸] ولکن جواب الحسین لم یتعد الآیة الکریمة «قل لن یصیبنا الا ما کتب الله لنا» [۹۹] .وتابعت قافلة الشهادة الصغیرة طریقها عبر الصحراء دون تردد حتی أصبحت علی بعد نحو عشرین میلاً من [صفحه ۷۷] الکوفة، وبلغ ذلک عبید الله بن زیاد فأخذ کافة احتیاطاته للحؤول بین الحسین والکوفیین، بفرضه حصاراً محکماً علی المدینة لمنع خروج أحد منها وبارساله حملة استطلاعیة من ألف رجل بقیاد الحر بن یزید لقطع الطریق علی الحسین [۱۰۰] والتضییق علیه ومنعه من الاقتراب من الکوفة.وفی نفس الوقت کان یعد للحملة الاساسیة التی عهد الیها بتصفیة الامر.. وکانت معدة بذکاء ومکر، وفوجئ القائد الذی وقع علیه الاختیار لقیادة الحملة وهو عمر بن سعد القرشی وابن الصحابی الشهیر سعد بن أبی وقاص. وحاول أن یتخلص من المهمة الثقلیة ولکن عبثاً، فقد أصر الامیر علی رأیه لاسباب لم تغب عن بال القائد المعین. ولم یکن بامکان ابن سعد الذی ذاق طعم السلطة وانغمس فی بؤرة السیاسة أن یصمد فی موقفه، وقبل المهمة خوفاً من ضیاع الولایة التی وُعد بها [۱۰۱] .وفی الیوم الثانی من محرم سنة ۶۱ هجری، وصل ابن سعد الی کربلاء [۱۰۲] علی رأس أربعة آلاف فارس [۱۰۳] . [صفحه ۷۸] ومعه تعلیمات مشددة من سیده بدعوة الحسین الی الاستسلام والبیعة لیزید، والا فالحرب.وفی خلال اسبوع من الحوار، لم یطرأ علی الموقف أی تغییر، فقد أصر الحسین علی رفضه لشروط القائد الاموی، وان کان قد طلب بأن تتاح له فرصة العودة الی الحجاز [۱۰۴] ولکن طلبه لم یجاب.وکان ابن سعد فی وضع لا یخلو من الحرج، فاذا ما تودد فی حواره مع الحسین کانت نظرات خبیثة تحدق فیه من شمر بن ذی الجوشن، الرجل الثانی فی الحملة، فیتذکر المهمة والولایة التی تنتظره [۱۰۵] .وفی العاشر من محرم حدث ما کان متوقعاً دون ایة مفاجآت، سوی انضمام الحر بن یزید الی جبهة الحسین التی لم تتجاوز السبعین بین فارس وراجل [۱۰۶] وکانت تلک النهایة المأساویة لثورة الحسین التی لم یقدر لها الوصول الی قاعدتها فی الکوفة، فاجهضت فی کربلاء، وکان ذلک المصرع البطولی الذی سجله الحسین ورفاقه، الذی هز ضمائر الناس ولا زال.. وابتدأ تاریخاً جدیداً فی حرکة النضال الشیعی سیستمر لآماد طویلة یُکتب بالتضحیات ویُسطر بالفداء.

تضعضع الاحوال السیاسیة فی نهایة عهد یزید

كان لسقوط الحسين بهذه الصورة المأساوية نتائج خطيرة فى تاريخ العراق والدولة الاموية عامة. فقد عاش الحزب الشيعى عقدة الذنب مثقلًا بمرارة الموقف الانهزامى الذى وقفه ازاء كربلاء. وتحرج النظام الاموى الذى لم يقدر فظاعة المأساة، وكان عليه ان يجابه نتائجها السريعة والمستقبلية التى اخذت تنعكس منذ ذلك الحين على بنية هذا النظام. وليس ثمة شك ان يزيد كان المسؤول الاول عن مجزرة كربلاء، وكان مسوقاً الى ارتكابها بدافع من قصر النظر وعدم صحة الرؤية، فقد اثبت فشله الذريع فى تبؤ مركز خطير كالخلافة ذلك المركز الذى بذل فى سبيله معاوية كل امكانياته وصرف كل جهوده من اجل الحفاظ عليه. ها هو يزيد يكاد يقضى بتصرف ارعن على كل انجازات ابيه برغم توصيات هذا الاخير له بعدم الصدام مع الحسين. [صفحه ۸۰] والواقع ان الدولة الاموية، لم تلبث ان اخذت تجتنى ثمرة كربلاء بصورة غير متوقعة وبدت عاجزة عن صد تيار الثورة الذى عم مختلف مناطق الدولة.ففى الحجاز، كانت المدينة مسرحاً لاول انتفاضة ضد السيادة الاموية تحركها عوامل مختلفة اهمها ما يتعلق بالعزلة السياسية التى فرضها معاوية على الحجاز منذ انتقال الخلافة الى البيت الاموى، وبنوعية العمال الذين انتدبتهم الدولة لحكم المدينة لا سيما عثمان بن محمد بن ابى سفيان وهو من عناصر البيت الاموى كان صغير السن، قليل التجربة [۱۰۷] وهكذا فان عوامل التحلل والنقمة كانت متوافرة فى الحجاز، ولكنها تنتظر المحرك والوقت الملائم.. فجاءت حادثة كربلاء تفجر المواقف وتطلق النفوس من عقالها.وقد حاول يزيد ان يتدارك الامر فى المدينة عن طريق التلويح باغداق الاموال عليها حيناً، وبالتهديد احياناً اخرى. ولكن موقف المدينة كان حاسماً ووصل قرارها فى الثورة على النظام الاموى نقطة اللارجوع. ففى المؤتمر الذى عقده زعماؤها فى المسجد، اتخذ قرار بالاجماع، بخلع يزيد ومبايعة عبد الله بن حنظلة الانصارى الذى اصبح زعيم الثورة [۱۰۸] والمسؤول عن تنفيذ مقررات المؤتمر وكان اولها [صفحه ۸۱] الهجوم على عناصر البيت الاموى فى المدينة، وكانوا مجتمعين بدورهم فى منزل كبيرهم مروان بن الحكم، فطردوهم من المدينة كما طردوا عاملها الاموى، وبذلك غدت عاصمة الاسلام الاولى خارج اطار السيادة الاموية.ولم يقف يزيد الذى اصطبغت يداه بدم الحسين، موقف المتفرج على احداث المدينة، وانما كان متصلباً، ومصمماً على ضرب الثورة بمنتهى الشدة والقسوة، ويبدو ذلك واضحاً من خلال شخصية القائد العسكرى الذى أوكل اليه مهمة القضاء على ثورة الحجاز، وهو مسلم بن عقبة الذى يصفه المؤرخون، بأنه أحد جبابرة العرب [۱۰۹] لصلافته وقسوته. ولم يخيّب مسلم أمل الخليفة به، فسرعان ما وصل بجيشه الى المدينة وضرب حولها الحصار. ولكن أهلها جابهوا الموقف بشجاعة وحفروا خندقاً [۱۱۰] حول مدينتهم استعداداً لحرب طويلة وقاسية. غير أن استعدادات المدينة لم تكن كافية للوقوف أمام جيش متفوق فى العدد والتنظيم والقيادة، فانتهت أحلامها الاستقلالية بالسقوط فى موقعة الحرة (هجرى /۶۸۳ م) وبانتهاك مسلم حرمتها باباحتها لجنوده أياماً ثلاثة: «يقتلون الناس ويأخذون الأموال» [۱۱۱] . [صفحه ۸۲] وهكذا كان تحرك المدينة، استنكاراً مباشراً لمقتل الحسين ورفضاً للسيادة الاموية التى حادت برأيهم عن الشرعية وانحرفت عن روح الاسلام. ولم يكن اخضاع المدينة معناه القضاء على الثورة فى الحجاز، لان رايتها انتقلت الى مكة التى شهدت تحركاً أكثر عنفاً وضراوة.وفى مكة بلغ التحرك بعداً أشد خطورة، باعلان عبد الله بن الزبير ثورته ورفضه الاعتراف بخلافة يزيد. وقد جاء توقيت هذه الثورة بعد سقوط الحسين فى كربلاء، ليضعها فى اطار التحرك العام الذى شمل المنطقة بكاملها استنكاراً للمأساة ورد فعل مباشر لها. والحق انه برغم ما كان لمقتل الحسين من تأثيرات على هذه الثورة، الا اننا لا نستطيع أن نربطها بثورة الحسين والثورات الاخرى التى كانت امتداداً لها. ذلك ان ابن الزبير كان يعد نفسه للثورة بمعزل عن الحسين وقبل أن يتحرك هذا الاخير الذى وقف عائقاً أمام طموحه الى السلطة، لان المكانة العظيمة التى احتلها الحسين فى نفوس الجماهير، لم تدع أى مجال للمنافسة. ونتيجة لذلك كان على ابن الزبير أن يتسلح بالصبر وأن يتصرف بذكاء الى أن يتبلور الموقف وتتوضح الامور وهو فى نفس الوقت لا يألو جهداً فى دفع الحسين للاستجابة الى نداء الكوفيين فى الذهاب الى العراق واعلان الثورة من هناك على خلافة يزيد.على اننا نخطئ اذا انزلقنا فى تصورنا لمدى تأثير [صفحه ۸۳] الحملة النفسية التى قام بها ابن الزبير ازاء منافسه الرئيسى الحسين لدفعه على الخروج، لان هذا الاخير كان يعمل وفق خطة مرسومة وفى اطار من الحذر [۱۱۲] وسلامة الرؤية. وكان يدرك جيداً ما وراء هذا التشجيع [۱۱۳] لتحديد موقفه والاسراع فى مغادرة

الحجاز «لو كان لى فى الكوفة مثل شيعتك ما عدلت عنها» [۱۱۴] فوجوده فى هذا الاقليم كان ثقيلاً على ابن الزبير الذى «عرف ان أهل الحجاز لا يبايعونه ولا يتابعونه أبداً ما دام الحسين بالبلد وأن حسيناً أعظم فى أعينهم وأنفسهم منه وأطوع فى الناس منه» [۱۱۵] انها حقيقة أدركها الحسين بكل أبعادها، ومع ذلک اتخذ الطريق الى العراق للقيام بمسيرته التاريخية، وهى الثورة على «الظلم ودك صروح الطغيان»، واقامة مجتمع عادل متحرر من الطبقية والقهر والاستغلال [۱۱۶] . [صفحه ۸۴] وفى نفس الوقت لم تكن الحجاز بنظر الحسين الارض الصالحة لحركة سياسية ناجحة، فقد أفسدها تطاحن الاحزاب وشراء الضمائر، واصرار معاوية على ابقائها معزولة عن الاحداث، فعاشت فى الظل نحو ربع قرن من الزمن، فضلاً عن قلة مواردها الاقتصادية [۱۱۷] وعدم اكتفائها الذاتى الامر الذى كان يجعل من استمراريتها وحيدة فى التصدى للنظام الاموى أمراً فى غاية الصعوبة. لذلک كان العراق بضخامة موارده البشرية والاقتصادية، الارض الصلبة التى توفر الطمأنينة، وتجعل فرص النجاح أقرب الى التحقيق.لبث ابن الزبير معتصماً فى المدينة المقدسة، يرقب من بعيد سير الاحداث، حتى جاءته الاخبار تنقل اليه مصرع الحسين فى كربلاء، فلم يتردد فى اتخاذ الموقف الذى كان يتوق الى اتخاذه وهو اعلان الثورة على النظام الاموى والاستقلال بالحجاز، مستغلاً كما حدث فى المدينة بشاعة المجزرة فى تكتيل الجماهير الغاضبة حوله وتحريكها بشكل عاصف ضد الامويين قتلة الحسين، ولكن ثورته اختلفت عن ثورة المدينة بأن هذه الاخيرة انعكست عليها كربلاء بكل ما فجرته من غضب وحقد، بينما كان الطموح الشخصى [صفحه ۸۵] فقط هو جوهر الثورة التى قام بها ابن الزبير وأكثر سماتها بروزاً.واذا كانت قوات الخلافة الاموية قد تمكنت من حسم الموقف سريعاً فى موقعة الحرّة التى انتهت بفشل ثورة المدينة، فان الموقف كان أشد حراجة فى مكة قاعدة ابن الزبير التى أخذت تتوسع بعدئذ لتشمل الحجاز كله، ثم العراق ومصر. ذلک ان هذه القوات فقدت فى الطريق قائدها الصلف متأثراً بشدة المرض وتقدم السن. فخلفه فى القيادة بناء على وصية من يزيد أحد معاونيه والمتفانين فى خدمة النظام الاموى هو الحصين بن نمير السكونى [۱۱۸] .وصل الحصين بن نمير بقواته الى مكة وضرب حولها الحصار، وأثبت فى صلافته انه تلميذ متفوق لمسلم بن عقبة. أما ابن الزبير فقد تحصن فى الكعبة وسد منافذ المدينة، وكان قد قوى مركزه حينئذ بما انضم اليه من الحلفاء كبعض الهاربين من موقعة الحرّة، وجماعة الخوارج النجدية [۱۱۹] والازارقة [۱۲۰] فضلاً عن المختار الثقفى الذى بدأ يبرز كشخصية قوية أثر التطورات السياسية التى رافقت كربلاء وتمخضت عنها. وازداد مركز ابن الزبير [صفحه ۸۶] قوة، حين أصبح المعارض الاول للنظام الاموى والرجل الذى يحظى بتأييد غالبية المسلمين، التى استنكرت اقدام جيش يزيد على غزو مكة، واشتد سخطها حين أخذت مجانيق هذا الجيش ترمى بقذائفها الكعبة [۱۲۱] مرتكبة أول عمل جرىء من هذا النوع، سيظل يستثير حفيظة المسلمين على مر الايام [۱۲۲] وفى غمرة هذه الاحداث، تأتى الانباء ناعية يزيد، الذى ترک الخلافة الاموية لمصيرها الغامض. واذ ذاک توقفت العمليات الحربية فى المدينة المقدسة (هجرى)، ودخل القائد الاموى فى مفاوضات مع ابن الزبير انتهت باجتماع الرجلين فى (الأبطح) [۱۲۳] لمناقشة الوضع السياسى العام. وقد حاول الحصين اقناع ابن الزبير بالذهاب الى الشام ومبايعته بالخلافة. ويبدو ان القائد الاموى أدرک ان الامور تتجه لمصلحة ابن الزبير، فأراد ان يخوض به معركة الخلافة فى دمشق. ولكن هذا الاخير رفض عروض الحصين الذى سارع بالعودة الى عاصمة الخلافة ليكون على مقربة من تطورات الاحداث فيها.والواقع ان استنكاف ابن الزبير عن الاستماع لنصيحة [صفحه ۸۷] الحصين فى الذهاب الى دمشق، قد فوّت عليه فرصة عظيمة من فرص الوصول الى الخلافة. فقد شغر هذا المنصب بوفاة يزيد، واحتدم الصراع عليه بين أفراد الاسرة الحاكمة، والعاصمة الاموية فى غمرة ذلک تبحث عن رجلها القوى دون جدوى لفترة غير قصيرة.ولا ريب ان غياب يزيد المفاجئ، قد أحدث بلبلة فى مختلف أقاليم الدولة الاموية، وأخذ التحرک فيها يتصاعد ويحمل بعداً جديداً، ستحدد على ضوئه موقفها من مسألة الخلافة بصورة عامة. وكان من الطبيعى فى غمرة هذا الفراغ السياسى وهذا الجو المشحون بالتناقضات، أن يتبارى الطامحون الى السلطة فى استغلال المواقف وانتهاز الفرص لاستقطاب اكبر عدد من الناس حول قضيتهم. وكان العراق، الذى ما قبل يوماً السيادة الاموية الا مرغماً، المسرح الذى تمثلت فيه صورة الرفض لهذه السيادة وما تمخضت عنه من أحداث عنف واضطرابات متواصلة. فالبصرة التى عرف عنها بعض التحفظ فى

مواقفها العدائیـهٔ من الحکم الاموی کان علیها هـذه المرهٔ أن تأخذ قرارها بسـرعهٔ، أما الاعتراف بخلافهٔ ابن الزبیر، الرجل الذی اتجهت الیه الانظار حینئـذ کأقوی شخصـیهٔ فی العالم الاسـلامی، واما المضـی فی خضوعها للسـیادهٔ الامویـهٔ التی یمثلها عبیـد الله بن زیاد. وقد اغتنم هذا الاخیر [صفحه ۸۸] الفرصهٔ فحاول أخذ البیعهٔ لنفسه باسم الامویین، بانتظار ما یسفر عنه الموقف فی دمشق، ولکن محاولاته فشلت وأرغم علی الخروج مطروداً من المدینهٔ [۱۲۴] .بایعت البصرهٔ بعد ذلک، أحد رجالها، وهو عبد الله بن الحارث بن نوفل [۱۲۵] ولکنه فشل فی مهمته، لان المدینهٔ تحولت الی مسـرح للفوضی، تعانی من التطاحن القبلی واشتداد ضغط الخوارج، وفشل أیضاً الذین جاءوا بعده [۱۲۶] ، فکتب أهلها الی ابن الزبیر یبایعونه ویطلبون الیه انتـداب رجل یتولی الامر فیهم ویـدفع عنهم خطر الخوارج [۱۲۷] والواقع ان تدهور الموقف فی البصرهٔ وصل الی مرحلهٔ بالغهٔ الخطورهٔ، الامر الذی دفع سکانها الی توحید کلمتهم والاحتکام الی خلیفهٔ الحجاز، فلبی هـذا الاخیر طلبهم وبعث الیهم الحارث بن عبد الله بن ربیعهٔ [۱۲۸] فساعد کثیراً فی اقرار السـلام فی تلک المنطقهٔ، حتی اذا جاء مصـعب بن الزبیر بعد ذلک بقلیل عاد الهدوء تماماً الی البصـرهٔ وتحدد موقفها بصورهٔ واضحهٔ. [صفحه ۸۹] وفی الکوفهٔ، التی عاشت تحت وطأهٔ التقصـیر والخذلان فی أعقاب مصر الحسین، کان الموقف یزداد غلیاناً، خاصهٔ وأن الاسلوب الاموی التقلیدی القائم علی الضـغط والارهاب، نحو هذه المدینهٔ المعروفهٔ بمیولها العلویهٔ المتطرفهٔ، لم یتغیر ولم یطرأ علیه تعدیل. فقد اسـتمر التنکیل الاموی یتصاعد بعد کربلاء، وکان الأداهٔ التنفیذیهٔ له، نائب عبید الله بن زیاد فی الکوفهٔ، عمرو بن حریث. ومن البدیهی القول ان هذه المدینهٔ، کقاعـدهٔ أساسـیهٔ للحرکـهٔ الشـیعیهٔ، اختلفت فی موقفهـا من النظـام الاموی عن البصـرهٔ، فاذا کان موقف هـذه الاخیرهٔ قـد امتزج ببعض التحفظ قبل أن تعلن قرارها الحاسم، فان الکوفهٔ لم تکن بحاجهٔ الی التردد، فقد اتخذت قرارها سریعاً وهو طرد عاملها عمرو بن حریث ممثل النظام الاموی فیها، وتولیـهٔ عامر بن مسـعود مکانه، ثم کتب أهلها الی ابن الزبیر بشأن ذلک فأقر ابن مسـعود فی منصـبه [۱۲۹] ، وبذلک خرج العراق بکامله من السیادهٔ الامویهٔ وانضم الی ابن الزبیر.اما فی دمشق فان وضع الخلافهٔ الامویهٔ ازداد تحرجاً بتنازل خلیفهٔ یزید، معاویهٔ الثانی، عقب ظروف غامضهٔ، مسدیاً - دونما قصد - خدمهٔ کبیرهٔ لخلافهٔ ابن الزبیر. [صـفحه ۹۰] فأدی ذلک الی نشوب أزمـهٔ سیاسـیهٔ عنیفـهٔ فی دمشق واجهت النظام الاموی وکادت ان تقضـی علیه [۱۳۰] وتفـاقم التطاحن بین القبائل حتی بلغ مرحلـهٔ من الخطورهٔ بعیدهٔ [۱۳۱] فقـد أیـدت القبائل القیسـیهٔ بزعامـهٔ الضـحاک بن قیس الفهری وزفر بن الحارث الکلابی ابن الزبیر، بینما ایدت القبائل الیمانیهٔ بزعامهٔ حسان بن بحدل الکلبی [۱۳۲] ، مروان بن الحکم الذی طرح نفسه کمرشح للخلافهٔ والتف حوله المؤیدون لبنی أمیـهٔ وبایعوه [۱۳۳] فی مؤتمر الجابیـهٔ سـنهٔ ۶۴ هجری /۶۸۴ م الـذی عالـج مسألـهٔ الخلافـهٔ والانقسامات فی البیت الاموی. وکان هذا المـؤتمر خطـوهٔ أولی ومهمـهٔ لاجتیـاز المحنـهٔ وخروج الخلافـهٔ من مأزقهـا. ثم کـانت الخطـوهٔ الثانیـهٔ والحاسـمهٔ عنـدما التقت جیوش المتنافسـین فی مرج راهط فی معرکهٔ طاحنهٔ انتهت بانتصار مروان وحلفائه من القبائل الیمانیهٔ، وهزیمهٔ قاسیهٔ للقبائل القیسیهٔ، حلفاء ابن الزبیر، ومقتـل زعیمهـا الضـحاک وثلاثـهٔ من أبنـاء زفر بن الحـارث [۱۳۴] . [صــفحه ۹۱] وهکـذا قـدر للامـویین الاحتفاظ بالخلافهٔ وانتزاعهـا مرهٔ ثانیـهٔ بـالقوهٔ، بعـد أن اوشـکت علی الضـیاع والانتقال الی الحجاز. غیر أن فرعاً آخراً أمسک بزمامها، هو الفرع المروانی الذی تقلدها حتی سقوط الخلافهٔ الامویهٔ [۱۳۵] . [صفحه ۹۵]

التوابون (الشعور بالذنب والتقصیر)

اشاره

عاد ابن زیاد، المنفـذ الرئیسـی لمجزرهٔ کربلاء، الی الکوفـهٔ یحمل فی کفیه وزر الجریمـهٔ النکراء دون أن یرتعش لهولها او یدخل فی روعه الندم. فقد کان مستعداً للسیر فی خدمهٔ النظام الاموی، وهو أحد أرکانه، بلا حدود، بعیداً عن أی التزام یتعدی المصلحهٔ الخاصهٔ أو المکاسب الشخصیهٔ. لذلک نجده یدخل الی المدینهٔ التی کانت تمثل القاعدهٔ الجماهیریهٔ الاولی للحسین، والارض التی کان ینبغی

أن تشـتعل فوقهـا الثورة، متحـدیاً شامخـاً، وکأنه ینتظر وسام البطولـة. ألم یصل به الامر ذروة التحـدی حین وقف علی منبر الکوفـة فی محاولـة منه لتسویغ ما جری فی کربلاء متهجماً علی الحسـین وواصـفاً ایاه بالکـذاب ابن الکذاب، وحین أمر بقتل أحد الکوفیین الذی انتقض علیه ورد علی التحدی بمثله [۱۳۶] .وکانت الکوفة حینئذ أشبه ببرکان عشیة الانفجار، فهی أکثر من غیرها تتحسس ثقل الذنب ومرارة النـدم، باعتبارها طرفاً مباشـراً ومسؤولاً فی قضـیة الحسـین. فهی [صـفحه ۹۶] الـتی ألحت علیه بـالخروج الی ارض الثورة الـتی تتعطش الی قائـدها المنتظر، ثم تقـاعست فی أحرج الظروف عن الالـتزام بمـا وعـدت به والوفاء بالعهـد الـذی قطعته علی نفسـها. واذا کانت الاحداث التی تلاحقت بصورة مفاجئة بُعید تحرک الحسین من الحجاز، قد حالت دون القیام بواجبها وتنفیذ مخططها المرسوم، فان ذلک لم یکن لیخفف عنها عمق المأساة لانها افتقدت بمصرع الحسین الشخصیة الاکثر جدارة التی وضعت فیها الشیعة کل آمالها وطموحهـا للوصـول الی الحکم.والواقع انه لیس من الصـعوبة أن یتصور المرء وضع الکوفـة فی تلـک الفـترة القلقـة من تاریخهـا، فقد کـانت تتفاعـل بـالغضب ویحـدق بها شـعور بضـخامة الاثم الـذی غرقت فیه. وکان لابـد من مخرج لهـذه المحنـة وتصـحیح للموقف المتخاذل بآخر یجلو عنها بعض العار، ویخفف عن کاهلها شیئاً من فداحـة الـذنب. فالمدینـة کانت معبأة بالحقـد وتتفجر بالثورة ضـد النظام الاموی، المسؤول عن مقتل الحسـین. وعلی ذلک لم یکن صـعباً علی أی زعیم او مغامر ان یکتّل المدینة بمعظمها ویقودها الی الثورة ورفع رایة العصـیان علی الامویین. ولکن الکوفة حینئذ برغم موجة السـخط والتذمر التی شـملت مختلف فئاتها، کانت تفتقر الی الموقف [صـفحه ۹۷] المتجانس والرأی الموحـد. فالترکیب البشـری والسیاسـی للمدینة کانت تتوزعه ثلاث قوی رئیسـیة:۱ - أنصار الثورة الذین یشددون علی اتخاذ موقف سریع وحاسم.۲ - أنصار الثورة غیر الایجابیین، وهؤلاء برغم حقـدهم علی النظام الاموی، فان موقفهم کـان متردداً وتعوزه الجدیـة.۳ - أنصـار السـلطة القائمـة، الـذین کـانوا علی اسـتعداد للتعاون مع أی شـکل من أشـکال النظام السیاسـی فی حدود حرصه علی مصالحهم وحمایته لها، وکان هؤلاء یمثلون طبقة ارسـتقراطیة لها نفوذها التقلیدی ومصالحها الخاصـة وهم أساسـاً من کبار رؤساء القبائل او الاشـراف کما کانوا یعرفون.تلک هی الترکیبـة البشـریة والسیاسـیة للمجتمع الکوفی کما کانت تبـدو فی أعقاب عودة ابن زیاد وجنـده من معسـکره فی النخیلة [۱۳۷] بعـد ارتکـابه المجزرة، وکان ذلک مأساویاً بکل ما تعنیه هـذه الکلمة، ومشهداً مؤثراً لم تستطع جماعة الحسین التی کان مقدراً لها أن تشارک فی ثورته، تحمله او السکوت عنه، ولذلک کان لا بد من التحرک والانتقام. [صـفحه ۹۸] أخـذ زعماء تلک الفئـة المخلصة التی أطلقنا علیها «أنصار الثورة» وکان معظمهم من أصل یمانی یجتمعون بعد مقتل الحسـین مباشـرة فی اطار من السـریة التامة ویعقدون مناقشات أشـبه ما تکون بالنقد الذاتی لمحاسبـة أنفسـهم علی التقصـیر الذی أظهروه ازاء الحسین والتشاور علی کیفیة التکفیر عن الذنب وغسل العار الذی لحق بهم نتیجة هذا التخاذل. فقد جاء فی الطبری: «لمـا قتـل الحسـین بن علی تلاـقت الشـیعة بالتلاـوم والتنـدم، ورأت انها قـد أخطأت خطأ کبیراً بـدعائهم الحسـین الی النصـرة وترکهم اجابته، ومقتله الی جانبهم ولم ینصـروه. ورأوا انه لا یغسل عارهم والاثم عنهم فی مقتله الا بقتل من قتله او القتل فیه» [۱۳۸] . [صفحه ۹۹]

مؤتمر الزعماء الخمسة

تزعّم التحرک الشـیعی حینئـذ خمسـة من کبـار الزعماء الکوفیین، المتقـدمین فی السن [۱۳۹] الـذین ارتبطوا تاریخیاً بالحرکة الشـیعیة وهم: سـلیمان بن صُرد الخزاعی، والمسیّب بن نجبه [۱۴۰] الفزاری، وعبـد الله بن سـعد بن نفیـل الازدی، وعبـد الله بن وال التمیمی، ورفـاعه بن شـداد البجلی [۱۴۱] وکـانوا جمیعـاً رفاق علی ومن أشـد المؤیـدین له [۱۴۲] ومن خلاـل انتمـاءات هؤلاـء الزعماء القبلیة نلاحظ أنهم یتحدرون جمیعاً من أصل یمانی، علماً بأن القبائل الیمانیة لم تنتظم بکاملها فی هذه الحرکة اذ غاب عنها عدد من أقطاب الیمانیـة مثل کنـدة ومذحـج وهمـدان، وقـد عرف عن هذه الاخیرة بصورة خاصة تعصـبها الشدید للقضـیة العلویة. [صـفحه ۱۰۰] بدأ الزعمـاء الخمسـة یمـارسون نشـاطهم فی الخفـاء ویبشـرون بـدعوتهم الانتقامیـة فی أوسـاط الحزب الشـیعی، بعیـداً عن مراقبـة السـلطة

وجواسیسها المنتشرین فی کل مکان، فکان ان أثمرت جهودهم وشکلوا منظمة سریة نواتها نحو مائة [۱۴۳] من العناصر المتطرفة، لم تلبث أن تحولت الی منظمة کبری تحمل اسم التوابین، وقد صارت هذه التسمیة هی الغالبة علی حرکة سلیمان ورفاقه، وهی أصلاً منبثقة عن الآیة الکریمة التی أصبحت الشعار الرئیسی لهم وهی: (فتوبوا الی بارئکم فاقتلوا أنفسکم ذلکم خیر لکم عند بارئکم فتاب علیکم انه هو التواب الرحیم) [۱۴۴] .وکان الاجتماع الاول الذی ضم هؤلاء قد عقد فی منزل سلیمان بن صُرد الذی وصف بأنه صحابی جلیل [۱۴۵] وهذا یعطینا فکرة بأنه کان متقدماً فی السن رفیع المکانة فی مجتمعه، وربما کان لذلک اثر فی تصدره هذه الحرکة واحتلاله مرکز الزعامة فیها. لان المناقشات التی جرت فی هذا الاجتماع أظهرت أن المسیّب کان من أبرز الخمسة وألمعهم تفکیراً وأکثرهم عمقاً. وکان سلیمان یعرف فی [صفحه ۱۰۱] الاصل باسم یسار، ویقال ان النبی هو الذی أطلق علیه اسم سلیمان بعد اعتناقه الاسلام [۱۴۶] وقد هاجر فی وقت مبکراً الی الکوفة وشارک فی القتال الی جانب علی لا سیما فی حروب صفین، وان کان قد تخلف عنه فی یوم الجمل لاسباب غیر واضحة تماماً، الامر الذی جعل علیاً یلومه بشدة ثم یقبل عذره فیما بعد. ومما یثیر الاهتمام ان علاقة سلیمان بعلی وایمانه بقضیته کانت أکثر من مجرد تحالف عادی او مرحلی. فقد کان من أقرب أعوانه وأشدهم اخلاصاً. ویُستخلص هذا من المحاورة التی جرت بینهما اثر انتهاء معرکة الجمل حین بادره علی بقوله: «تربصت وتأنأت فکیف تری صنع الله؟ فأجابه سلیمان: الشوط بطین وقد بقی من الامور ما تعرف به صدیقک من عدوک» [۱۴۷] وبعد وفاة علی ظل علی ولائه له حیث أظهر حماسة شدیدة للحسین وکان من أوائل الذین کتبوا الیه من اجل التوجه الی الکوفة وتزعم ثورتها ضد النظام الاموی [۱۴۸] .کان الاتجاه العام للمناقشات یدور حول التکفیر عن الذنب والمخطط الانتقامی الذی یمکن أن یزیل عنهم الشعور بالاثم، وذلک فی جو من الانفعال الشدید. والواقع انه لم یکن هناک شیء من برنامج الحرکة الشیعیة [صفحه ۱۰۲] السیاسی او الاجتماعی او الاقتصادی علی غرار ما ظهر قبل ذلک فی ثورة الحسین او ما ظهر فیما بعد من ملامح فی حرکة المختار الثقفی. وکان أول المتکلمین فی الاجتماع المسیّب بن نجبه الذی قال: (اما بعد، فانا قد ابتلینا بطول العمر والتعرض لانواع الفتن فنرغب الی ربنا الا یجعلنا ممن یقول له غداً أو لم نعمرکم یتذکر فیه من تذکر وجاءکم النذیر فان أمیر المؤمنین قال العمر الذی اعذر الله فیه الی ابن آدم ستون سنة. ولیس فینا رجل الا وقد بلغه. وقد کنا مغرمین بتزکیة أنفسنا وتقریظ شیعتنا حتی بلا الله أخیارنا فوجدنا کاذبین فی موطنین من مواطن ابن بنت نبینا. وقد بلغتنا کتبه، وقدمت علینا رسله، واعذر الینا یسألنا نصره عوداً وبدءاً، وعلانیة وسراً. فبخلنا عنه بأنفسنا حتی قتل الی جانبنا، لا نحن نصرناه بأیدینا، ولا جادلنا عنه بألسنتنا، ولا قویناه بأموالنا، ولا طلبنا له النصرة الی عشائرنا فیما عذرنا الی ربنا وعند لقاء نبینا صلی الله علیه وسلم وقد قتل فینا ولده وحبیبه وذریته ونسله؟ لا والله لا عذر دون ان تقتلوا قاتله والموالین علیه، أو تقتلوا فی طلب ذلک فعسی ربنا أن یرضی عنا عند ذلک وما أنا بعد لقائه لعقوبته بآمن) [۱۴۹] ثم أنهی کلامه بتشدیده علی توحید الصفوف ودعوة رفاقه الی انتخاب رئیس یفزعون الیه ویأخذون برأیه [۱۵۰] . [صفحه ۱۰۳] وتکلم بعد ذلک زعیم آخر هو رفاعة بن شداد، فأثنی علی ما جاء فی خطبة المسیّب وأوصی باتخاذ سلیمان بن صُرد زعیماً للحرکة، مؤکداً فی الوقت نفسه علی الموضوع الرئیسی للاجتماع وهو التکفیر عن الذنب اذ قال:(أما بعد فان الله قد هداک لاصوب القول ودعوت الی أرشد الامور والی جهاد الفاسقین والی التوبة من الذنب العظیم، فمسموع منک، مستجاب لک، مقبول قولک. قلت ولوا رجلاً منکم تفزعون الیه وتحفون برایته وذلک رأی قد رأینا مثل الذی رأیت، فان تکن أنت الرجل عندنا مرضیاً وفینا منتصحاً وفی جماعتنا محباً وان رأیت ورأی أصحابنا ذلک ولینا هذا الامر شیخ الشیعة صاحب رسول الله وذا السابقة والقدم سلیمان بن صرد المحمود فی بأسه ودینه والموثوق بحزمه أقول قولی هذا واستغفر الله لی ولکم) [۱۵۱] .وتعاقب علی الکلام عبد الله بن وال وعبد الله بن سعد فأیدا اقتراح رفاعة بتأمیر سلیمان الذی فاز بزعامة الحرکة من منافسة المسیّب الذی بدا کأبرز المجتمعین فی المؤتمر وظهر میله الی تزعم الحرکة حین کان الوحید بین الخطباء الذی أغفل اسم سلیمان بشأن الزعامة.وتکلم سلیمان بن صُرد وکان قد أصبح زعیماً [صفحه ۱۰۴] للحرکة مشیراً الی عظم الرزء وضخامة المأساة، ومشدداً علی النهوض لغسل الاثم والتکفیر عن فداحة الذنب والسعی فی طلب الشهادة «انا کنا نمد أعناقنا الی قدوم آل نبینا،

ونمنيهم بالنصر، ونحثهم على القدوم. فلما قدموا ونينا، وعجزنا، وأدهنا، وتربصنا، وانتظرنا ما يكون، حتى قتل فينا ولد نبينا وسلالته وبضعة من لحمه ودمه... الا انهضوا، فقد سخط ربكم، ولا ترجعوا الى الحلائل والابناء حتى يرضى الله وما أظنه راضياً حتى تناجزوا من قتله او تبيروا. الا ـ لا ـ تهابوا الموت فوالله ما هابه امرؤ قط الا ـ ذل. كونوا كالاول من بنى اسرائيل، اذ قال لهم نبيهم: انكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم» [۱۵۲] .والواقع ان هذه الخطبة الخطيرة وضعت الحركة موضع التنفيذ وجاءت بمثابة برنامج عام لها حيث تناولت النقاط التالية:۱ – الشعور بهول المأساة وفداحة الاثم.۲ – الاسراع باتخاذ موقف انتقامى من المسؤولين عن مقتل الحسين سواء الامويين ام المتواطئين معهم.۳ – تجسيد فكرة الاستشهاد بالتنازل عن الاملاك واعتزال النساء. [صفحه ۱۰۵] ۴ – الالحاح فى طلب التوبة عن طريق التضحية بالنفس.ومن خلال هذه المناقشات التى شهدها مؤتمر الزعماء الخمسة، تلاحظ انها دارت حول فكرة رئيسية هى التكفير عن الذنب، وهذه الفكرة لها جذورها البعيدة فى المجتمعات العراقية الغابرة، وأصولها القديمة فى ديانات ما بين النهرين، فضلًا عن الديانة المسيحية التى تسربت الى هذه المنطقة قبل مجىء العرب اليها. ولا ندرى اذا كان التوابون قد تأثروا فى هذا المجال بهذه الجذور التاريخية، ام ان ذلك شىء أصيل وذاتى فيهم، زاده بلورة تلك التجربة المريرة التى عاشوها فى أعقاب مصرع الحسين.انتهى المؤتمر ملتزماً بهذه المقررات الحاسمة، وملتزماً بزعامة سليمان بن صُرد أكبر الزعماء الخمسة سناً وأسبقهم فى الاسلام وأوثقهم علاقة بعلى وأسرته، وكذلك أرفعهم شأناً فى مكانته القبلية. وليس ثمة شك ان هذا الاختيار كان موفقاً وفى صالح الحركة، لان سليمان كان طرازاً فريداً بين رجالات الكوفة، شديد الايمان بالقضية التى رفع شعارها، مقتنعاً بضرورة الاخذ بمبدأ العنف لتصعيد حركة النضال الشيعى ضد أعدائها الامويين. «اتخذوا السيوف وركبوا الاسنة واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل حين تدعوا وتستنفروا» [۱۵۳] . [صفحه ۱۰۶] فلم يكن هو، أو أحد من رفاقه ساعياً وراء مطلب خاص او مكسب شخصى، وانما كانوا طلاب قضية عامة هدفها اولاً الانتقام للحسين رأس الحركة الشيعية ورائدها فى تحقيق أمانيها السياسة، وثانياً ازاحة الامويين من السلطة فى الكوفة وتحويلها الى قاعدة للحكم الشيعى الذى ينبغى أن يسود مختلف أقاليم الدولة. وهذا يظهر بكل وضوح أن جماعة التوابين لم يطلبوا السلطة للتحكم، بل لتنفيذ مبدأ عام هو الاسلام. وكان بنظرهم السكوت عن ذلك وتخليهم عنه، يعتبر خيانة لقضيتهم، وتخلياً عن حق شرعى، وخرقاً لعهد الهى. ومن المهم هنا أن نشير الى ان هذه المبالغة فى نكران الذات، وطرح هذه الافكار المثالية، كانا بدون شك سبب ذلك الاخفاق المتواصل للحركات الشيعية والعامل الذى ساعد النظام الاموى على تصفيتها بكل سهولة. [صفحه ۱۰۷] وليس من باب الصدفة فقط ان يتولى قيادة هذه الحركة خمسة من الشيوخ اصغرهم قد نيف على الستين [۱۵۴] ولعل الباحث هنا يجد مدخلًا للتعرف الى جمهور الحركة ولتحديد الجيل الذى استمدت منه عناصرها بشكل عام. والارجح ان التوابين – لا سيما الذين تابعوا الشوط حتى آخره – قطعوا خريف العمر او كادوا. وهؤلاء تتجسد لديهم فكرة التوبة عادة اكثر من العناصر الشابة. ثم ان حركة من هذا النوع، اقتصر مضمونها على التضحية والغفران الا تجتذب جمهور الشبان الملتزمين بخط سياسى واضح والمؤمنين بالتغيير. وهذا ما يفسر انصراف عدد من الزعماء الشبان فى الكوفة عن هذه الحركة، كابراهيم الاشتر مثلًا الذى وجد فيها مضموناً ساذجاً وتحركاً فى غير أوانه.ولا شك ان هذا التجانس النوعى فى صفوف التوابين كان له بعداً خاصاً كرس أكثر فأكثر مفهوم التضحية والفداء. فهؤلاء لم يجزعوا كثيراً على ما تبقى من العمر بعد ان بلغوا الارذل منه وقطعوا حبل سنواته العجاف. [صفحه ۱۰۹]

الاتصالات

سارت الحركة فى اتجاه عملى، محافضة على سريتها التامة التى استمرت طيلة خلافة يزيد الاول [۱۵۵] ، وهى فترة حاسمة دأب فيها التوابون بكل امكاناتهم على تعبئة المقاتلين وجمع الاسلحة واستمالة الناس [۱۵۶] ، واتفقوا على ان يعقدوا لقاءات دورية لتقويم النشاطات التى قاموا بها والانجازات التى حققوها، ومن ثم لتحديد موعد للخروج واعلان الثورة. واستقر الرأى أخيراً على أن يكون

التجمع فی النخیلة [۱۵۷] فی نهایة ربیع الآخر من سنة ۶۵ للهجرة [۱۵۸] .کانت أولی الخطوات التنفیذیة التی قام بها سلیمان، هی محاولة استقطاب زعماء الکوفة واستمالة أکبر عدد من جماهیرها، والکتابة الی رجالات الحزب الشیعی فی البصرة والمدائن وسواهما من المدن العراقیة. وکانت هذه [صفحه ۱۱۰] الاتصالات تتضمن المفاهیم العامة للحرکة ومنطلقاتها، ثم الدعوة الی المشارکة فی مؤتمر النخیلة المذکور [۱۵۹] فقد کتب أمیر التوابین الی عامل المدائن، سعد بن حذیفة بن الیمان:«اما بعد، فان الدنیا دار قد أدبر منها ما کان معروفاً، وأقبل منها ما کان منکراً وأصبحت قد تشنأت الی ذوی الالباب وأزمع بالترحال منها عباد الله الاخیار وباعوا قلیلاً من الدنیا لا یبقی بجزیل مثوبة عند الله لا یفنی. ان أولیاء الله من اخوانکم وشیعة آل نبیکم نظروا لانفسهم فیما ابتلوا به من أمر ابن بنت نبیهم الذی دُعی فأجاب ودعا فلم یُجب، وأراد الرجعة فحبس وسأل الامان فمنع وترک الناس فم یترکوه وعدوا علیه فقتلوه ثم سلبوه وجردوه ظلماً وعدواناً وغرة بالله وجهلاً... فلما نظروا اخوانکم وتدبروا عواقب ما استقبلوا رأوا أن قد خطئوا بخذلان الزکی واسلامه وترک مواساته والنصر له خطأ کبیراً لیس منه مخرج ولا توبة دون قتل قاتلیه او قتلهم حتی تفنی علی ذلک أرواحهم» [۱۶۰] .کان وقع هذا الکتاب مؤثراً جداً علی شیعة المدائن، خاصة وأن عدداً من الکوفیین قد نزحوا الیها [۱۶۱] ، وهؤلاء [صفحه ۱۱۱] ظهروا شدیدی الحماس للاستجابة الفوریة الی دعوة التوابین. وما لبث ان جاء الرد ایجابیاً من عامل المدائن وشیعتها والاستعداد الکامل للتحرک فی الیوم الموعود الی النخیلة «اما بعد، فقد قرأنا کتابک وفهمنا الذی دعوتنا الیه من الامر الذی علیه رأی الملأ من اخوانک، فقد هُدیت لحظک ویُسرت لرشدک، ونحن جادون، مجدون، معدون، مسرجون، ملجمون ننظر الامر ونستمع الداعی فاذا جاء الصریخ أقبلنا ولم نعرج ان شاء الله» [۱۶۲] .وکان سلیمان قد أرسل نسخة ثانیة من کتابه الی المثنی بن محربة العبدی فی البصرة لکسب تأییده مع الشیعة هناک [۱۶۳] فأجابوا جمیعاً الی دعوته. وقد جاء فی رد المثنی «قرأت کتابک وأقرأته علی اخوانک فحمدوا رأیک واستجابوا لک، فنحن موافوک ان شاء الله للاجل الذی ضربت وفی الموطن الذی ذکرت» [۱۶۴] وبذلک أخذت دعوة التوابین تتسع فی أوساط الناقمین علی الحکم الاموی والمطالبین بدم الحسین، وتستجیب لها الجماهیر بحماسة ملتهبة «فکان یجیبهم القوم بعد القوم، والنفر بعد النفر من الشیعة وغیرها» [۱۶۵] .

بدء التحرک و ظهور المختار

ظلت هذه الحرکة تعمل فی اطار من السریة، کما أشرنا، حتی جاء الخبر بوفاة الخلیفة یزید وبعده بقلیل ابنه معاویة الثانی فی ظروف لازالت غیر واضحة تماماً. وقد سبب ذلک أزمة حکم قاسیة فی عاصمة الخلافة الامویة لم تخرج منها الاسرة الحاکمة الا بصعوبة... (وقد ذکرنا ذلک فی فصل سابق وتطرقنا الی الظروف المحلیة والخارجیة التی عصفت بالحکم الاموی وکادت أن تطیح به). وبوصول أخبار التطورات السیاسیة فی دمشق الی الکوفة غمر هذه الاخیرة جو من الارتیاح، نابع عن التشفی بموت الخلیفة المسؤول الاول والرئیسی عن مقتل الحسین، وعن شعور متفائل باحداث بعض التغییرات فی صورة الحکم، فضلاً عما توفر من امکانیات أمام التوابین للقیام بنشاطهم العلنی وخروج دعوتهم الی حیز التنفیذ والمباشرة. حتی أن بعضهم نصح باستغلال الموقف المتدهور فی الشام [۱۶۶] . [صفحه ۱۱۳] واستباق الموعد الذی حددوه للتحرک. غیر أن حکمة سلیمان وبُعد نظره حالاً دون تنفید هذه الرغبة، لان الدعوة لم تکن قد رسخت جذورها بعد، لا سیما فی الکوفة التی افتقرت الی التجانس ووحدة الموقف. ویبدو ان أکثر ما کان یخشاه سلیمان ویتحسب له، هی تلک الفئة الانتهازیة من الکوفیین، الممالئة دائماً للنظام الحاکم، التی عرفت بالاشراف [۱۶۷] حتی أننا نجد ان سلیمان کان یصورها بأنها العدو الشرس للثورة والخصم الذی یجب التعامل معه بمنتهی الحیطة والحذر. «رویداً لا تعجلوا، انی قد نظرت فیما تذکرون فرأیت ان قتلة الحسین هم أشراف أهل الکوفة وهم المطالبون بدمه، ومتی علموا ما تریدون وعلموا انهم المطلوبون کانوا أشد علیکم» [۱۶۸] .وکان الابقاء علی موعد التحرک بدون شک فی صالح الحرکة التوابیة، اذ أن الاستجابة البشریة تضاعفت بعد موت یزید [۱۶۹] وما أحدثه من ارباک فی نظام الحکم، وساعد علی ذلک انتقال الحرکة من مرحلة السریة والعمل

تحت جنح الظلام الى دور النشاط العلنى والمجاهرة الصريحة. [صفحه ۱۱۴] ولقد تحولت الكوفة حينئذ الى مركز حيوى للنشاط السياسى بمختلف مظاهره وأبعاده. وما لبثت الاحداث أن أخذت تتلاحق بسرعة مذهلة لتترك بصماتها على المجتمع الكوفى بصورة عامة. ففى خلال السنة التى امتدت من وفاة يزيد الى اعلان التوابين ثورتهم فى النخيلة، تمخضت الكوفة عن أمور فى غاية الخطورة، لابد من التوقف عندها لنشير باختصار الى أكثرها فاعلية وأشدها تأثيراً فى تاريخ تلك الفترة.والواقع ان الكوفة سارعت الى تحديد موقفها من النظام الاموى والخروج عليه كما سبق أن ذكرنا. فقد أعلنت الثورة فى المدينة وهاجم الكوفيون دار الامارة وطردوا ممثل ابن زياد [۱۷۰] الذى كان يقيم فى البصرة وتعرض بدوره لحركة مماثلة. وقد أعقب ذلك فترة قصيرة من الفراغ فى السلطة الى أن جرى تسليم الحكم الى رجل اتفق عليه أشراف الكوفة وزعماؤها، وهو عامر بن مسعود [۱۷۱] الذى ما لبث ان دان بالولاء لعبد الله بن الزبير حيث تمكن فى تلك الاثناء من توطيد مركزه فى العراق. ولم يكن هذا الاجراء عائداً الى اقتناع الكوفيين بسلامة هذا الموقف، وانما كان ضرورة اقتضتها المصلحة ليس أكثر. فالاشراف من جهة [صفحه ۱۱۵] هم الذين يبدو أنهم شغلوا دوراً بارزاً [۱۷۲] فى حركة التمرد هذه، بعد أن أدركوا ان رياح الثورة الحجازية بدأت تهب بشكل عاصف على العراق، فسارعوا الى التودد لابن الزبير ابتغاء لضمان مصالحهم السياسية والاقتصادية، واستمراراً لها. وأظهر زعماء الحزب الشيعى من جهة ثانية استنكافهم عن تسلم الحكم برغم توفر فرص النجاح حينئذ، لان عناصر الثورة أرادت المسير وفقاً للخطة التى تم وضعها وتدور حول هدف محدد وثابت هو الانتقام، وكان فى ذلك تأكيداً على التجرد والمثالية والالتزام بالمبدأ.. هذه الافكار تشربها التوابون بكل عمق الايمان، وانعكست على حركتهم، فطبعتها بطابع مميز وفريد.وبسرعة غير متوقعة انتقل العراق الى سيادة الحزب الزبيرى وغدت الكوفة مرتبطة بثورة الحجاز التى انتفضت على النظام الاموى وهزت دعائمه بعنف، وتقبّل شيعة الكوفة هذه السيادة الجديدة، ولكن بفتور وبشىء من التحفظ. فهى بنظرهم انقلاب على النظام الذى مجوه وعارضوه طويلاً.. غير أن العداوة المشتركة التى وحدت مشاعر الطرفين ضد الامويين، لم تمنع الحركة التوابية من رفض الاعتراف بالحزب الزبيرى كبديل مثالى للسيادة الاموية. [صفحه ۱۱۶] وفى تلك الاثناء كان ابن الزبير يعمل على تأكيد سلطته فى الاقاليم التى خضعت له بعد أن أصبح الرجل القوى فى العالم الاسلامى. وأخذ عماله الذين انتدبهم لادارة هذه الاقاليم يصلون تباعاً. ففى الكوفة التى يهمنا الوقوف على التطورات السياسية فيها عشية خروج التوابين، أرسل اليها اثنين من عماله أحدهما اختص بشؤون السياسية والحرب هو عبد الله بن يزيد الانصارى [۱۷۳] ، وثانيهما انصرف الى شؤون الادارة والخراج وهو ابراهيم ابن محمد بن طلحة [۱۷۴] ، حفيد الصحابى المعروف طلحة بن عبيد الله. وانتهت بذلك تلك الفترة الانتقالية التى تولاها باسم الحزب الزبيرى، عامر بن مسعود، لتصبح الكوفة احدى ولايات الخلافة الزبيرية.ولم تقتصر أحداث الكوفة على هذه التغييرات السياسية المهمة، وانما شهدت أحداثاً أخرى على قدر كبير من الخطورة، كادت أن تمزق الجبهة الشيعية، وان تبعثر قواها، وذلك بظهور أحد المغامرين بصورة فجائية فى الكوفة حينئذ، هو المختار بن ابى عبيد الثقفى [۱۷۵] وكان هذا الاخير شخصية مثيرة دار حولها كثير من الجدل، [صفحه ۱۱۷] فقد ارتبط منذ نشأته بالحركة الشيعية وتربى فى وسط شيعى مشبع بالاخلاص والحب لعلى وأبنائه [۱۷۶] ، ثم أعد نفسه ليكون أحد أركان الثورة التى كان مقدراً أن يقودها الحسين، حيث سبق هذا الاخير الى الكوفة ليشارك فى تهيئة المناخ الملائم للثورة، ولكن عامل العراق الاموى قبض عليه وأودعه السجن مع عدد من الزعماء الشيعيين [۱۷۷] وظل فى سجنه حتى أفرج عنه بعد توسط صهره عبد الله بن عمر لدى الخليفة يزيد [۱۷۸] فغادر الكوفة الى الحجاز وفى نفسه حقد لا يوصف ضد الامويين وعاملهم ابن زياد [۱۷۹] ولهذا لم يتردد فى الاشتراك مع ابن الزبير فى ثورته التى وجد فيها بعض أهدافه وهى العمل على مقاومة النظام الاموى بدون هوادة. غير أن الانجسام لم يستمر طويلًا بين الرجلين، فالمختار كانت له مطامحه السياسية واحلامه الاستقلالية، لذلك ما لبث ان زهد بدور التابع لابن الزبير وقفل عائداً الى الكوفة بعد أن سمع بطرد ابن زياد من العراق، فقد كانت الكوفة على الدوام قبلة طموحه ووجد انها الارض الملائمة لتحقيق هذا الطموح.. وقد بلغ من اهتمامه بها انه كان يستفسر عن احوالها من الوافدين الى [صفحه ۱۱۸] الحجاز، حيث حدثه أحدهم [۱۸۰] عن أهلها بقوله: «انهم فى صلاح واتساق على طاعة ابن الزبير، الا

ان طائفة من الناس اليهم عدد أهل مصر لو كان لهم رجل يجمعهم على رأيهم أكل بهم الارض الى يوم ما [۱۸۱] فأجابه المختار: «أنا ابو اسحق، أنا والله لهم، أنا أجمعهم على مر الحق، وأنفى بهم ركبان الباطل وأقتل بهم كل جبار عنيد» [۱۸۲] .وهكذا جاء المختار الى الكوفة، تتجاذبه أحلام السيادة والتحكم على المدينة بسهولة ويسر، معتمداً على تردد شيعتها من حكومة ابن الزبير، ومحاولة استقطابهم عن طريق شعار الثأر للحسين وهو نفس الشعار الذى طرحه التوابون، وتبعتهم جماهير الكوفة الشيعية من أجله. ولكن المختار اختلف عنهم بأنه ذهب الى أبعد من الانتقام والتكفير عن الذنب، الى السعى لاستلام الحكم [۱۸۳] وهو أمر رفضه التوابون. ولكى يزيد حجته تسويغاً، ويضفى على حركته نوعاً من الشرعية، زعم أن [صفحه ۱۱۹] أحد زعماء الاسرة العلوية [۱۸۴] أرسله للدعوة باسمه فى الكوفة.ولكن محاولات المختار لاستقطاب شيعة الكوفة تحت زعامته لم تصادف ما كان يتوقع لها من نجاح، لان فئة قليلة فقط استهوتها شخصية المختار واقتنعت بدعوته، بينما ظلت الاغلبية على تأييدها لابن صُرد [۱۸۵] ، ولم تتأثر بالحملة الدعائية الواسعة التى أحاط بها نفسه وهو فى طريقه الى الكوفة وبعد وصوله اليها حتى انها شككت بصحة ادعائه عن علاقته بمحمد بن الحنفية [۱۸۶] ولما أدرك ان معركته مع سليمان معركة خاسرة أخذ يصعد حملات التشهير ضد هذا الاخير متهماً اياه بقصر النظر وعدم الكفاءة لقيادة الثورة الشيعية الهادفة الى الانتقام من قتلة الحسين «ان سليمان ليس له بصر بالحرب، ولا تجربة بالامور، وانما يريد أن يخرجكم فيقتلكم ويقتل نفسه، وأنا أعمل على مثال قد مثل لى، وأمر قد بين لى، فيه عز وليكم وقتل عدوكم وشفاء صدوركم، فاسمعوا قولى وأطيعوا أمرى» [۱۸۷] . [صفحه ۱۲۰] هذه الحملة النفسية التى قام بها المختار، لم يكن لها كبير أثر على جماعة التوابين الذين بلغوا من الاندفاع حداً بعيداً، وأصبح من المستحيل عليهم، التراجع أو التوقف عن الهدف الذى اقتنعوا به وآمنوا كل الايمان. وعلى العكس من ذلك فان نشاط المختار انقلب عليه، واشتدت مخاوف السلطة وأنصارها من تحركاته، حتى أن زبانية الحكم التى انتقل ولاؤها بسرعة مذهلة من النظام الاموى الى نظام ابن الزبير، ثقل عليها وجود المختار فى الكوفة فشكا نفر [۱۸۸] منها خطورة هذا الرجل الى عاملى المدينة بقوله: «ان المختار أشد عليكم من سليمان بن صُرد. ان سليمان انما خرج يقاتل عدوكم ويذله لكم وقد خرج عن بلادكم، وان المختار انما يريد أن يثبت فى مصركم، فسيروا اليه واوثقوه فى الحديد وخلدوه فى السجن حتى يستقيم أمر الناس» [۱۸۹] .وهكذا انتهى أمر المختار سجيناً فى الكوفة، ينتظر مرة أخرى من وراء قضبان السجن ما تؤول اليه الامور وما تسفر عنه الاحداث.. ولعله أدرك ان الفرصة ستلوح له من جديد بعد التخلص من منافسة زعيم التوابين، حيث [صفحه ۱۲۱] كان يتوقع الفشل الذريع لحركة هذا الاخير، فتخلو له الساحة حينئذ ويصبح الزعيم المنتظر لشيعة الكوفة. ولهذا لم يعد يتورع عن التصريح بين الحين والآخر، مباركاً التحرك الذى يقوده سليمان والحث على اعلان الثورة والخروج من الكوفة. وفى سجنه كان المختار لا ينفك يردد على مسامع زائريه انه لن يتخلى مطلقاً عما سعى اليه وجاء من أجله، أو يتوقف لحظة عن السير فى حملته الانتقامية، التى كانت عصب دعوته الرئيسى فى معاقبة المسؤولين عن دم الحسين، والمضى فى ملاحقتهم أياً كانوا وفى أى أرض ذهبوا اليها «أما ورب البحار، والنخيل والاشجار، والمهامة والقفار، والملائكة الابرار، والمصطفين الاخيار، لاقتلن كل جبار بكل لدن خطار ومهند بتار فى جموع من الانصار ليسوا بميل اغمار ولا بعزل أشرار. حتى اذا أقمت عمود الدين وزايلت شعب صدع المسلمين وشفيت غليل صدور المؤمنين وأدركت بثأر أولاد النبيين، لم يكبر على زوال الدنيا ولم أحفل بالموت اذا أتى» [۱۹۰] .فاز سليمان اذا فى معركة الزعامة الشيعية ضد هذا المغامر الدخيل، الذى قدم من الحجاز باحثاً عن الزعامة ومتعطشاً الى السلطة. وفى تلك الاثناء كانت الحركة التوابية تدخل مرحلتها الحاسمة والصعبة، وكان زعماؤها [صفحه ۱۲۲] يصعّدون الجهود ويركزون الحملات الاعلامية عبر اتجاهين رئيسيين. أولاً: عن طريق التبشير بأفكار الدعوة [۱۹۱] والمفهوم الحقيقى للتحرك. وثانياً: عن طريق القيام بعروض شبه عسكرية والتجوال فى شوارع الكوفة وأسواقها مع سواها من المدن [۱۹۲] لاستثارة الجماهير واجتذاب أكبر عدد من المتطوعين للحركة.كانت سنة خمس وستين للهجرة (۶۸۴م) قد حلّت، وفى هذه السنة خرجت حركة التوابين من محتواها التخطيطى واطارها التبشيرى الى مرحلة التنفيذ الحاسم. فلم يعد يفصلها غير شهور قليلة عن موعدها الفاصل الذى حددته لانطلاقتها من (النخيلة). ومعنى ذلك أن الفئات الشيعية

التی التزمت مبدئیاً بالحرکة، کان علیها أن تبادر الی تحمل مسؤولیتها بالسرعة الممکنة. ولکن الذی حدث ان عدد المنتمین فعلیاً الی الحرکة حینئذ کان لا یزال قلیلاً [۱۹۳] ، [صفحه ۱۲۳] بینهم الکثیر ممن یعوزهم الانضباط والقناعة. وکان أشد التوابین ارتباکاً بهذه النتیجة وأکثرهم انزعاجاً هو زعیم الحرکة الذی وجد ان هذا العدد [۱۹۴] لا یتناسب مع حجم القضیة التی یقاتلون فی سبیلها. وکان لابد من تصعید لعملیات الدعایة من أجل استقطاب المزید من المؤیدین.. ومن الشعارات التی کثر تردادها حینئذ: «من أراد الجنة فلیلتحق بسلیمان فی النخیلة».. «من أراد التوبة فلیلتحق بسلیمان» [۱۹۵] الی غیر ذلک من الشعارات التی لم تخرج عن اطار الغفران والتکفیر عن الذنب.ولقد أعطت هذه الحملة بعض ثمارها ولاقت قدراً من التجاوب، ولکن المسألة لم تکن فی تجمع المؤیدین فی أسواق الکوفة [۱۹۶] بل فیمن یمتلک القدرة علی الصمود والاستمرار عندما ترفع رایة الحرب ویتعالی صورت النفیر، وهؤلاء لم یتجاوز عددهم فی بادئ الامر الالف مقاتل، ثم ارتفع هذا العدد مع تصعید الحملات الدعائیة الی نحو أربعة آلاف مقاتل [۱۹۷] کانوا جمیعاً مستعدین [صفحه ۱۲۴] للمسیر حتی نهایة الشوط والاشتراک الفعلی فی حرب الامویین.واذا أردنا تفسیر هذا التجاوب المحدود لحرکة التوابین عندما بدأت تحرکها الجدی، فانه یعود بدون ریب الی جو الکوفة المشحون حینئذ بالبلبلة والصراعات السیاسیة بعد خضوعها للحزب الزبیری. فقد کان السواد من الناس فی حالة ترقب وانتظار ما تسفر عنه الاحداث.. فضلاً عن خلخلة الموقف علی صعید الجبهة الشیعیة بمجیء المختار الی الکوفة وتأثیره علی نفر من الشیعة الذین غادروا معسکر سلیمان وانضموا الیه [۱۹۸] کذلک فان حرکة التوابین کحرکة مثالیة، مجردة من أی هدف سیاسی معین، کان هدفها الرئیسی هو الانتقام للحسین والموت فی سبیله.. وهذا ما یمکننا أن نعزو الیه ضعف الاستجابة نوعیاً، والقلة العددیة التی شارکت بصورة فعالة فی حرکة التوابین.ولقد سبق التحرک العسکری، انعقاد مؤتمر لزعماء التوابین لبحث الموقف العام وتوزیع المسؤولیات علی العناصر القیادیة ومناقشة اقتراحاتها حول کیفیة التحرک والخطوات التمهیدیة اللازمة. وکان هناک اتجاه علی [صفحه ۱۲۵] رأسه عبد الله بن سعید بن نفیل [۱۹۹] نحو القیام بعملیات انتقامیة داخل الکوفة تستهدف بعض الاشراف المتهمین بتواطئهم مع النظام الاموی، ولکن سلیمان رفض هذا الرأی وأصر علی أن الهدف اولاً هو رأس عبید الله بن زیاد [۲۰۰] الذی بات المسؤول الاول بعد موت یزید بن معاویة، ثم تأتی بعد ذلک مسألة الکوفة وأشرافها «ان الذی قتل صاحبکم وعبّی الجنود الیه، وقال لا أمان له عندی دون أن یستسلم فأمضی فیه حکمی هذا الفاسق ابن الفاسق عبید الله بن زیاد، فسیروا الی عدوکم مع الله، فان یظهرکم الله علیه رجونا أن یکون من بعده أهون شوکة منه ورجونا أن یدین لکم من وراءکم من أهل مصرکم فی عافیة فتنظرون الی کل من شرک فی دم الحسین فتقاتلونه ولا تغشموا، وان تستشهدوا فانما قاتلتم المحلین وما عند الله خیر للابرار لأحب أن تجعلوا حدکم وشوکتکم بأول المحلین. ولو قاتلتم أهل مصرکم ما عدم رجل ان یری رجلاً قد قتل أخاه وأباه وحمیمه او رجلاً لم یکن یرید قتله. فاستخیروا الله وسیروا» [۲۰۱] . [صفحه ۱۲۶] ومن الواضح ان المنطق وبعد النظر یتجلیان فی موقف زعیم التوابین الذی لم یرد لحرکته ان تخفق فی مکانها فی الکوفة، لان ذلک سیثیر بدون شک حساسیات قبلیة وسیفجر صراعات داخلیة، وبالتالی سیؤدی الی استهلاک الحرکة بدون طائل.وبعد تشاور، رأی زعماء الحرکة ان قتلة الحسین موزعون فی أنحاء الارض، ولیس سهلاً أن تطالهم سیوف التوابین کما یتصور البعض. لذلک ارتأوا أخیراً أن تکون الشام (قاعدة الطغیان) هدف حملتهم العسکریة التی یعدّون لها.. فهی مرکز السلطة الامویة، المسؤولة قبل أی أحد عن قتل الحسین. وفی رأیهم ان النظام هو الذی ینبغی أن یحاسب ولیس الاشخاص [۲۰۲] لان هؤلاء کانوا فقط الأداة التی نفذت الاوامر وقامت بما طلب منها خیر قیام. [صفحه ۱۲۷]

التحرک

بعد أن توفر للتوابین هذه المعطیات، خطوا خطوتهم العملیة الاولی علی طریق الانتقام والتکفیر عن الذنب، فغادروا الکوفة لیلة الجمعة فی الخامس من ربیع الثانی سنة ۶۵ هجری / التاسع عشر من تشرین الثانی سنة ۶۸۴ م، ووجهتهم (النخیلة) المکان الذی ستلتقی فیه

وفود المتطوعين الـذين تعاهـدوا على الالتحاق باخوانهم في الموعد المحدد.وبعد اقامهٔ سـليمان ورفاقه أيام ثلاثهٔ [۲۰۳] في المعسكر، لم تكن الاسـتجابهٔ في المسـتوى المقدر لها، وانخفض العدد الذي التزم بالخروج مع زعيم الحركهٔ الى الربع تقريباً، حيث قدر ان آخر مـا وصل اليه تجمع التوابين في النخيلـهٔ لم يتجاوز الاربعـهٔ آلاف مقاتل [۲۰۴] ، وربما انخفض الى ثلاثـهٔ آلاف وثلاثمائـهٔ مقاتل ابان المعركهٔ الفاصلهٔ [۲۰۵] . [صـفحه ۱۲۸] وكان من أبرز المتخلفين شـيعهٔ المدائن والبصـرهٔ [۲۰۶] فضـلًا عن تخلف عـدد غير قليل من شيعهٔ الكوفهٔ..وما كان لعزوف الكثيرين عن تلبيهٔ دعوهٔ سـليمان في (النخيلهٔ) أي تأثير على معنويات زعماء الحركهٔ او أي انعكاس على عزائمهم الثابتـهٔ. فقـد بلغ بهم الايمـان حـداً جعلهم لا يفكرون الا بالهـدف الـذي خرجوا من أجله، ولن يعيقهم عن تحقيقه عائق مهما بـدت الطريق اليه صـعبهٔ وشائكـهٔ. ومـا أروع مـا جـاء في خطـاب سـليمان، في تلك الفترهٔ الحرجـهٔ التي لا يصـمد فيها سوى اصـحاب الايمان، متحـدثاً عن محتوى الهـدف الـذي هم سائرون لتحقيقه: «ايها الناس فان الله قـد علم ما تنوون، وما خرجتم تطلبون، وان للدنيا تجاراً وللآخرهٔ تجاراً. فأما تاجر الآخرهٔ فساع اليها منتصب بتطلابها لا يشترى بها ثمناً لا يُرى الا قائماً وقاعـداً وراكعاً وساجـداً، لا يطلب ذهباً ولا فضـهٔ، ولا دنيا ولا لـذهٔ. واما تاجر الـدنيا فمكب عليها راتع فيها لا يبتغي بها بـدلًا. فعليكم يرحمكم الله في وجهكم هذا بطول الصـلاهٔ في جوف الليل، وبـذكر الله كثيراً على كل حال وتقربوا الى الله جل ذكره بكل خير قـدرتم عليه حتى تلقوا هذا العدو والمحل القاسط فتجاهدوه، فانكم لن تتوسلوا الى ربكم بشيء هو اعظم [صفحه ۱۲۹] ثواباً من الجهاد والصلاهٔ، فان الجهاد سنام العمل جعلنا الله واياكم العباد الصالحين والمجاهـدين الصابرين على اللأواء. وانا مدلجون الليلهٔ من منزلنا هذا ان شاء الله فأدلجوا» [۲۰۷] .كان لهذه الخطبهٔ تأثيرها الجلي في نفوس التوابين، وفي تهيئهٔ المناخ المثالي والملائم للبدء في عمليهٔ التنفيذ... واطمأن سـليمان في أعماقه وأيقن ان القوم في (النخيلـهٔ) سـائرون معه دونما تردد. فغادروا جميعاً المعسـكر متخـذين طريق كربلاء حيث قبر الحسـين حاملين اليه آلامهم بكل تفجعها وذنوبهم وقـد بلغت من الثقل حداً لا يطاق... وأي لقاء سـيكون أشد ايلاماً وأقسـى مرارهٔ من لقاء التوابين بالحسـين، لقاء المـذنب المسـتغفر في حضـرهٔ صـاحب الشـفاعهٔ، لقاء المتخاذل عن نصـرهٔ الحق في مقام شـهيد الحق. كان ذلك مواجهـهٔ مباشـرهٔ مع الـذنوب، مع الخطايا، مع الضـمير الـذي استفاق.. مواجهـهٔ تجلت فيها ضـخامهٔ المأساهٔ، وقتلت لديهم كل احساس بالكبرياء ورغبهٔ في العيش، وفوق ذلـك كان تجمعهم حول قبر الحسـين، جزءاً من التحرك الـذي حانت ساعـهٔ تنفيـذه... فهو لن يقتصـر على الانفعالات وطلب الغفران، وانما كانت له [صفحه ۱۳۰] أيضاً أبعاده السياسـيهٔ لتكريس الميثاق الذي التزموا به، ووضع أنفسهم في أجواء الشهادهٔ التي بلغت أسـمى درجاتهـا البطوليـهٔ مع سـقوط الحسـين في كربلاـء.وقـد يـذهب بنـا الخيال بعيـداً الى ذلك الزمن، وينقلنا الى تلك الارض، فنتصور رهبهٔ اللقاء وضـجيج التوابين وهم يدورون حول قبر الحسـين، ينشدون بصوت موحد نشيد الغفران والتوبهٔ، ويهزجون بايمان عميق اهزوجـهٔ الموت والشـهادهٔ: «اللهم انا خـذلنا ابن بنت نبينا، وقد أسأنا وأخطأنا، فاغفر لنا ما قد مضـى من ذنوبنا، وتب علينا انك أنت التواب الرحيم. اللهم ارحم الحسـين، الشهيد ابن الشهيد وارحم اخواننا الذين حصنّوا أنفسهم معه بالشهادهٔ. اللهم ان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسـرين» [۲۰۸] .وفي اثناء ذلك، كانت أخبار التحرك والاسـتعدادات تتسـرب الى مسامع أشـراف الكوفهٔ، الـذين أحـدق بهم الخوف والهلع على مصـيرهم. وكان أشـدهم قلقاً عمر بن سـعد الـذي التجأ الى قصـر الامارهٔ طلباً للحمايـهٔ والامان [۲۰۹] . [صفحه ۱۳۱] ولقد سبق لهؤلاء الاشراف أن ألحوا كثيراً على أمير الكوفهٔ الزبيري [۲۱۰] لضرب جماعهٔ التوابين قبل أن يقوى أمرهم ويشـتد خطرهم. ولكنه لم يتـأثر لضـغوطهم أو ينسـاق مع مصـالحه السياسـيهٔ - باعتباره ممثلًا لابن الزبير - المتعارضـهٔ مع آمال التوابين وتطلعاتهم. وللحقيقهٔ، فان أمير الكوفهٔ تصرف بموضوعيهٔ واخلاص في معالجهٔ مسألهٔ التوابين، وقد ظهر ذلك في جوابه للزمرهٔ من الاشـراف: «الله بيننـا وبينهم! ان هم قاتلونا قاتلناهم، وان تركونا لم نطلبهم» [۲۱۱] لِمَ الخوف من التوابين.. أهو الذي قتل الحسـين؟ [۲۱۲] على حد تعبيره.. فهو لم يتردد من لعن قاتله أمام الاشراف وبعضهم اشترك في الجريمهٔ. وفي نفس الوقت جاهر برأيه في خطبهٔ له في مسـجد الكوفـهٔ.. «لقـد أصـبت بمقتله رحمـهٔ الله عليه، فان هؤلاء القوم - ويقصد التوابين - آمنون، فليخرجوا ولينتشـروا ظاهرين ليسـيروا الى من قاتل الحسـين فقـد أقبل اليهم وأنا لهم على قاتله ظهير» [۲۱۳] .لم يكن هنـاك اذا تضارب بين أمير الكوفـهٔ وبين أمير

التوابین، او تنافس بینهما علی السلطهٔ. فحرکهٔ هذا الاخیر [صفحه ۱۳۲] وضحت هویتها وتبلورت أهدافها.. وهی فی شتی الاحوال تخدم مصالح أمیر الکوفهٔ وسیده خلیفهٔ الحجاز، فهی کحرکهٔ ثوریهٔ موجهٔ ضد النظام الاموی - العدو الرئیسی والمشترک للحزبین الشیعی والزبیری - تؤدی بالنتیجهٔ الی استنزاف طاقات الامویین وتؤخر استعداداتهم الحربیهٔ لاسترجاع العراق، ومن ثم الحزب الزبیری فی عرینه. هذا المنطق یمکن تفسیره کأساس للعلاقات بین الحزبین التی سبقت ورافقت تحرک التوابین، وهو ما اعتمده بعض المؤرخین [۲۱۴] فی تصویره للموقف فی الکوفهٔ عشیهٔ التحرک.وقد یحتوی هذا المؤشر بعض المبالغهٔ، وقد یکون ناتجاً عن تقدیر خاطیء. فاذا کان یعبر عن منطق الحزب الزبیری واستراتیجیته، فانه لیس کذلک بالنسبهٔ لممثل الحزب فی الکوفهٔ، الذی کانت له نظرته المختلفهٔ فی هذا الامر. ومن الانصاف ان لا نغفل دور هذا الرجل الذی شغله بکل مسؤولیهٔ، وهو دور الناصح بالتخلی عن هذه الحرکهٔ الانتحاریهٔ والتسلح بالصبر والتروی.. لان هدفه کان منصباً حول اجتذابهم الی الحزب الزبیری وتشکیل جبهٔ قویهٔ ضد الامویین [۲۱۵] بدل أن تتبعثر القوی، [صفحه ۱۳۳] وتنصرف الجهود فی غیر مواقعها الاساسیهٔ.ولکن سلیمان وجماعته، کانوا قد بلغوا نقطهٔ اللارجوع فی القرار الحاسم الذی اتخذوه والتزموا مصیریاً بتنفیذه «لقد خرجنا لامر ونحن نسأل الله العزیمهٔ علی الرشد والتسدید لاصوبه، ولا ترانا الا شاخصین» [۲۱۶] .وبعد خروج التوابین الی قبر الحسین، لم یتکاسل عبد الله بن یزید (أمیر الکوفهٔ) عن اسداء النصیحهٔ مرهٔ أخری لسلیمان، محاولاً باخلاص ان یثنیه عن قراره وطالباً الیه تأخیر موعد التحرک، فذلک أسلم عاقبهٔ وأضمن نتیجهٔ لسلامهٔ الحرکهٔ وشریکها فی مناهضهٔ الامویین، الحزب الزبیری، مصوراً له ضخامهٔ الجیش الاموی الذی بدأ یزحف حینئذ باتجاه العراق، وما یقابله من ضآلهٔ حجم المتطوعین مؤکداً من جدید علی ضرورهٔ توحید الجهود وتکاتف الایدی للوقوف فی وجه عدو قوی وعنید. فقد کتب الی سلیمان قائلاً: «أما بعد فان کتابی لکم کتاب ناصح مشفق، تریدون المسیر بالعدد الیسیر الی الجمع الکثیر والجیش الکبیر. وقد علمتم انه من أراد أن یقلع الجبال من أماکنها تکل معاوله ولا تظفر بحاجته. فیا قومنا لا تطمعوا عدوکم فی أهل بلدکم فانکم خیار قومکم، ومتی ظفر بکم عدوکم طمع فی غیرکم من أهل [صفحه ۱۳۴] مصرکم وهلاککم ومن خلفکم. یا قومنا انهم ان یظهروا علیکم یرجموکم او یعیدوکم فی ملتهم ولن تفلحوا اذا أبداً، فارجعوا واجعلوا أیدینا وأیدیکم الیوم واحدهٔ علی عدونا وعدوکم، فانه متی اجتمعت کلمتنا ثقلنا علی عدونا فلا تستعیبوا نصحی ولا تخالفوا أمری، واقبلوا حین تقرأون کتابی هذا أقبل بکم الی طاعته وادبر بکم عن معصیته والسلام علیکم ورحمهٔ الله وبرکاته» [۲۱۷] .ان أحداً لا یستطیع أن یرتاب فی موقف أمیر الکوفهٔ الزبیری نحو التوابین او یشکک فی مدی اخلاصه حین دعاهم الی التریث والتراجع، حتی ان سلیمان نفسه لم یجد فی نصیحهٔ الامیر الا الصدق والاخلاص. ولکن المسألهٔ خرجت عن حدود النصیحهٔ وتعدت اطار المنطق، فالتوابون حینئذ کانوا اشبه بمرکبهٔ أفلت زمامها وانجرفت فی الوادی السحیق، الی درجهٔ استحال معها أن تتوقف او تخفف بعض اندفاعها.. فقد کانوا معبئین لسنوات خمس مضت بشحنات متراکمهٔ من العواطف السخیهٔ، بحیث انها خلقت منهم شخصیات مغامرهٔ تطبعت بروح الفداء واستهوتها التضحیهٔ. وفی کل الحالات کان [صفحه ۱۳۵] منطق واحد یوجه تحرکاتهم، بدون ضابط، هو منطق العاطفهٔ الجامحهٔ، بما فیه من مثالیهٔ وتجرد واندفاع. وکان من الطبیعی ان یتعارض منطقهم هذا مع منطق أمیر الکوفهٔ، وان تکون صرخهٔ هذا الاخیر فی غیر محلها ولا تلاقی من یصغی الیها فی صفوف التوابین [۲۱۸] فقد اعتمدت منطق العقل فی تصویر الموقف السیاسی فی الکوفهٔ وفی تجسید الخطر الذی یتهددها علی ید الامویین اذا ما استمرت جبهتها فی التمزق وقواها فی التبعثر.أنهی سلیمان قراءهٔ الکتاب الذی وصله من أمیر الکوفهٔ بتنهیدهٔ رافقها هذا البیت من الشعر:أری لک شکلاً غیر شکلی فأقصری عن اللوم اذ بُدّلتِ واختلف الشکل [۲۱۹] .وهو لا شک یعبّر بصدق عن التناقض فی المواقف والاهداف بین کل من التوابین وبین ممثل ابن الزبیر فی الکوفهٔ.. فلم یکن هناک - أی رابط مبدئی یربطهم بهذا الاخیر، أو یدفعهم الی التعاون معه «انا وهؤلاء مختلفون... ولا أری الجهاد مع ابن الزبیر الا ضلالاً، [صفحه ۱۳۶] وأنّا ان نحن ظهرنا رددنا هذا الامر الی أهله، وان أصبنا فعلی نیاتنا تائبین من ذنوبنا» [۲۲۰] .ولعل من المفید ان نعود قلیلاً الی الوراء، لنتلمس انعکاسات الحرکهٔ التوابیهٔ علی الوضع العام فی الکوفهٔ، منذ أن خرجت من سریتها الحذرهٔ الی العلنیهٔ الجریئهٔ، وأخذ قادتها یصعّدون الموقف بخطبهم

الملتهبة بعد موت يزيد بن معاوية. فقد اندفعت الجماهير الى قصر الامارة وأطاحت بالامير الاموى ونصّبت مكانه أميراً آخراً يدين بالولاء للحزب الزبيرى. وفى الحقيقة كان فضل التوابين ظاهراً فى تهيئة الظروف أمام هذا الحزب لاستلام السلطة، وكان من الممكن لاى حركة سياسية، اضطلعت بهذا الدول، ان تتحول الى شريك رئيسى فى الحكم الزبيرى حينئذ. ولكن حركة التوابين، كما عرفنا، كانت لها همومها البعيدة كل البعد عن استلام الحكم أو المشاركة فيه، او حتى المباركة فى أدنى الاحتمالات. لذلك كان تعاملهم مع نظام ابن الزبير تعاملاً محدوداً، وفى نطاق ما يوفره لهم من حرية التحرك وعدم اثارة المشاكل التى يمكن ان تعيقهم عن تحقيق ما التزموه بتنفيذه وما أخذوه على أنفسهم من ميثاق. [صفحه ۱۳۷] وانطلاقاً من هذا المبدأ رفض سليمان دعوة أمير الكوفة الى التراجع برغم ما فيها من اخلاص وتودد. وكان قد وصل الى مكان يقال له (هيت) [۲۲۱] ومن هناك أجابه برسالة لا تخلو من استحسان ظاهر لموقفه المسؤول وسلامة نواياه: «أما بعد فقد قرأنا كتابك أيها الامير، وفهمنا ما نويت، فنعم أخو العشيرة أنت ما علمناك فى المشهد بالمغيب، غير انّا سمعنا الله تعالى يقول فى كتابه وقوله الحق (ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويُقتلون وعداً عليه حقاً فى التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به فذلك هو الفوز العظيم) [۲۲۲] وأعلمك أيها الامير ان القوم قد استبشروا ببيعهم الذى بايعوه وقد تابوا اليه من عظيم ذنوبهم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته» [۲۲۳] .أدرك أمير الكوفة عبث ندائه الى التوابين بالتراجع، وتأكد له أن القوم سائرون الى أقدارهم بعزيمة ثابتة لملاقاة [صفحه ۱۳۸] موتهم البطولى. فالتفت الى الحاضرين فى ديوانه مردداً وكأنه يسّر الى نفسه: «استمات القوم ورب الكعبة، وأول خبر يأتيكم عنهم بأنهم قتلوا بأجمعهم والله لا قُتلوا حتى يكثر القتل بينهم وبين عدوهم» [۲۲۴] .فرغت الكوفة حينئذ من زعماء التوابين الذين غادروها وهم فى ذروة الحماسة الى (النخيلة)، المعسكر الذى هرع اليه رفاق آخرون، اشتركوا معهم فى تلك المسيرة النضالية الرائعة، لخوض معركة الانتقام البطولى ضد النظام الاموى ولضرب ما عبروا عنه بقواعد الطغيان والظلم. وكانت بعض العناصر الشيعية التى استهوتها حركة سليمان قد أخذت بدورها تغادر الكوفة تباعاً وتلتحق بمركز التجمع فى (النخيلة)، دونما التزام، أحياناً، بمواقف قبائلها التى لم تقتنع زعاماتها بدعوة سليمان ووجدت فيها مجرد مغامرة انتحارية لا هدف منها سوى تبديد الجهود وهدر الطاقات دون أى نتيجة ايجابية على صعيد حركة النضال الشيعى. وهذه الظاهرة كانت من أبرز سمات الجيش الذى خاض به التوابون معركة [صفحه ۱۳۹] التكفير عن الذنب فى (عين الوردة). فقد كان الانفلات من نظام القبيلة كوحدة قتالية أمراً مألوفاً الى حد كبير، على خلاف ما عرفه التقليد العربى بصفة عامة فى ميادين الحرب. وكان لهذا الواقع مدلولاً آخراً، هو أن نفراً قليلاً فقط من جمهور الشيعة الكوفيين خرج الى (النخيلة) اما الغالبية، فقد التزم بعضها بقرار القبيلة فى معارضة الحركة، وبعض آخر ظل على تردده يترقب انجلاء الامور. اما الاشراف فقد كانوا أكثر الفئات ابتهاجاً بخروج التوابين حيث انزاح عنهم كابوس ظل لفترة يؤرق مضاجعهم، ويفقدهم نعمة الاستقرار. وثمة شخص آخر فى الكوفة، لم يكن أقل شعوراً بالفرح من الاشراف هو المختار الثقفى، وكان لا يزال فى السجن ينظر من وراء قضبانه فيجد الساحة الشيعية خالية من منافسيه، فاذا به المستفيد الاكبر من غياب التوابين. وبسرعة عاد الى تحركه وأخذ يصعّد نشاطه فى أوساط الحزب الشيعى، حتى أصبح بعد قليل من الوقت زعيم هذا الحزب غير المنافس، والى حين زعيم الكوفة بأسرها. [صفحه ۱۴۰]

التقدم نحو الشام

بعد يوم وليلة من الابتهالات والتضرع حول قبر الحسين [۲۲۵] مستغفرين الله وطالبين اليه أن يمنحهم نعمة الشهادة، غادر التوابون كربلاء عبر الفرات الى الانبار ومنها الى القيارة وهيت. ومن هذه الاخيرة كتب سليمان بن صُرد الى أمير الكوفة عبد الله بن يزيد جواباً على رسالته كما سبق ان أشرنا. ولقد تجنب التوابون كما هو واضح السير عبر الصحراء، واتخذوا طريق الجزيرة. ولعل غايتهم من وراء ذلك كانت تزويد جيشهم بقوات اضافية من الجزيرة وبلاد الشام، حيث كانت تتواجد المعارضة القيسية بزعامة الكلابيين أصحاب

قرقيسيا [۲۲۶] خاصة وأن بعض العناصر التوابية تراجعت الى الكوفة [۲۲۷] . [صفحه ۱۴۱] بعد أن فتر حماسها وأدركها الخوف عند تواتر الاخبار عن جيش كبير للامويين زاحف من دمشق، فآثرت السلامة والعودة. ويبدو ان عددها كان محدوداً فلم يؤثر على الخطة العامة للتوابين. ولكن هذا لم يمنع حاجة هؤلاء الملحّة الى المساعدات المادية والعسكرية لمجابهة نظام راسخ فی دمشق وجيوش على مستوى رفيع من التنظيم. ولهذا جرت اتصالات بين سليمان بن صُرد وبين زفر بن الحارث الكلابی صاحب قرقيسيا عند اقتراب التوابين من أبواب المدينة وكان المسيّب بن نجبه، نائب سليمان والرجل القوی [۲۲۸] فی الحركة رسول سيده الى الامير الكلابی [۲۲۹] وكان هذا الاخير قد أمر باغلاق المدينة تحسباً للظروف، فلما قابله المسيّب وعرّفه بنفسه وشرح له أبعاد تحركهم هذا، أبدى تعاطفاً ملحوظاً معهم واستعداداً للتجاوب مع ما يطلبونه من مساعدات، دون أن ينسى تسويغ موقفه باغلاق الابواب فی وجههم: «انا لم نغلق ابواب هذه المدينة الا لنعلم ايانا تريدون ام غيرنا، وما بنا عجز عن الناس وما نحب قتالكم وقد بلغنا عنكم صلاح وسيرة جميلة» [۲۳۰] . [صفحه ۱۴۲] خرج موكب التوابين من قرقيسيا مزوداً بما يلزمه من احتياجات اقتصرت على بعض المواد الغذائية، لان زفر رغم تعاطفه معهم، ورغم عداوته الشرسة للامويين [۲۳۱] ، لم يمدهم بالمتطوعين ربما لانه وجد فی حركتهم من المغامرة والتهور، ما يجعل أی فرصة للنجاح معها مستحيلة، او ربما لخروجه منذ أمد غير بعيد من حرب مدمرة مع الامويين فی مرج راهط. ولهذا لم يرد استنفاذ طاقاته مرة أخرى بدون جدوى.وفی اثناء ذلك، وفی الوقت الذی كان يواكب فيه الزعيم الكلابی جماعة التوابين خارج المدينة [۲۳۲] حملت اليه استخباراته معلومات غير سارة عن وجود عبيد الله بن زياد فی (الرقّة) على رأس جيش ضخم وبصحبته خمسة من كبار قادة الامويين وأشد أعداء الحزب الشيعی ضراوة وهم: الحصين بن نمير السكونی، شرحبيل بن ذی الكلاع الحميری، أدهم بن محرز الباهلی، ربيعه بن مخارق الغنوی، جبله بن عبد الله الخثعمی [۲۳۳] . [صفحه ۱۴۳] تهيّب زفر الموقف الخطير، وخاف على ضيوفه المتهالكين على الشهادة، والمتدافعين لقتال عدو ليسوا فی حجمه. فأخذ يلحّ عليهم بالتروی والرجوع الى قرقيسيا والعمل على تشكيل جبهة واحدة ضد المروانيين من بنی أمية [۲۳۴] «ان شئتم دخلتم مدينتنا وكانت أيدينا واحدة، فاذا جاء هذا العدو قاتلناهم جميعاً» [۲۳۵] ولكن هذه المعلومات عن الجيش الاموی الضخم لم تستثر التوابين الذين أصروا على متابعة المسيرة، ورفضوا نصيحة زفر، كما رفضوا من قبل نصيحة أمير الكوفة عبد الله بن يزيد. فقد رد سليمان على الامير الكلابی قائلاً: «قد أرادنا أهل مصرنا على مثل ما أردتنا عليه وذكروا الذی ذكرت، وكتبوا الينا بعدما فصلنا، فلم يوافقنا ذلك فلسنا فاعلين» [۲۳۶] .ولابد هنا لای متتبع لاخبار حركة التوابين، الا ان يستوقفه ذلك الصمود الرائع لهذه الحركة العظيمة، ولا بد ان تنتزع اعجابه تلك الشخصيات القيادية المرتفعة، [صفحه ۱۴۴] بايمانها المثالی، ونضالها الاسطوری الفريد. انها شخصيات من طراز جديد ومن معدن آخر لا- نجد لها مثيلاً الا فی كتب الاساطير. شخصيات اتقنت جيداً صناعة الموت، وتعدت قوانين الشهادة المعروفة، لتكتب بدمائها شرائع جديدة، ليست لدنياها وانما للتاريخ. أليس مثيراً أن تقوم حركة أساسها المغامرة وعنوانها الفداء، فتمر عليها سنوات خمس - أكثرها كمنظمة سرية تعمل فی الخفاء - دون أن يخبو بريقها أو تفقد شيئاً من حماسها المتأجج، حتى فی المواجهة المباشرة مع الموت؟.غير أن رفض سليمان لرغبة زفر بالانكفاء الى قرقيسيا والتحصن فيها ضد الامويين، واصراره على التقدم لاكمال المهمة التی التزم بها مع رفاقه فی مسيرتهم التكفيرية، لم يحولا دون متابعة الامير الكلابی تحذيراته للتوابين من الخطر الداهم الذی يتهددهم، وتقديم نصائحه وخبراته بكل اخلاص لهم.. وهی توجيهات على جانب من الاهمية، خاصة ما يتعلق بجغرافية المنطقة واستراتيجيتها ومواقع الماء فيها.. وكان آخر ما توجه به زفر للتوابين بعد أن أدرك عقم محاولاته فی حملهم على التراجع: «انی للقوم (أی الامويين) عدو، وأحب أن يجعل الله عليهم الدائرة، وأنا لكم وادّ أحب أن يحوطكم الله بالعافية». [صفحه ۱۴۵] ان القوم قد فصلوا من الرقة فبادروهم الى عين الوردة [۲۳۷] فاجعلوا المدينة فی ظهوركم ويكون الرستاق والماء والمادة فی أيديكم وما بيننا وبينكم فأنتم آمنون منه. فاطووا المنازل فوالله ما رأيت جماعة قط أكرم منكم، فأنی أرجو أن تسبقوهم، وان قاتلتموهم فلا تقاتلوهم فی فضاء ترامونهم وتطاعنوهم فانهم أكثر منكم ولا- آمن أن يحيطوا بكم فلا- تقفوا اليهم فيصرعوكم ولا- تصغوا اليهم فانی لا أرى معكم رجالة ومعهم الرجالة والفرسان وبعضهم

يحمى بعضاً، ولكن ألقوهم فى الكتائب والمقانب ثم بثوها فيما بين ميمنتهم وميسرتهم واجعلوا مع كل كتيبة أخرى الى جانبها، فان حُمل على احدى الكتيبتين رحلت الاخرى فنفست عنها. ومتى شاءت كتيبة ارتفعت ومتى شاءت كتيبة انحطت، ولو كنتم صفاً واحداً فزحفت اليكم الرجالة فدفعتم عن الصف انتفض وكانت الهزيمة» [۲۳۸] .

معركة عين الوردة

تقدم سليمان مع رفاقه فى عمق الجزيرة، ونصائح الامير الكلابى لازالت تتردد فى أسماعه. فهذا الرجل (زفر) خبر المنطقة جيداً وأكسبته الحرب مهارة عسكرية وتجربة واسعة، فضلًا عما أظهره من تودد ظاهر وتعاطف ملموس ازاء التوابين وقضيتهم. لقد كان لكلماته وقعها المؤثر فى نفوس هؤلاء الذين استجابوا لنصيحته وساروا فى اتجاه عين الوردة حسب الخطة التى رسمها لهم، حتى اذا وصلوها واستراحوا قليلًا [۲۳۹] من مشاق الطريق أخذ سليمان فى تنظيم المقاتلين ووضع خطط الاشتباك مع الجيش الاموى الذى أخذ يقترب من المعسكر. وكانت أهم معالم التكتيك الذى اتبعته القيادة، تقسيم المقاتلين الى مجموعات صغيرة [۲۴۰] مهمتها القيام بهجمات صاعقة على طلائع وأطراف الجيش الاموى، للتأثير على العناصر المقاتلة فيه. [صفحه ۱۴۷] وبعد أن استكمل سليمان هذه الترتيبات العامة. وقف بين رفاقه خطيباً، ليضعهم نفسياً فى أجواء المعركة التى دنت ساعتها. وكانت بمثابة تحليل لفكرة الخروج والغاية الاساسية التى انطلقوا فى سبيلها وهى التوبة والغفران [۲۴۱] ، وتوضيح لمفهوم الحرب مستقى من تشريع على، الامام ورأس الحزب الشيعى، الذى وضع مفاهيمه المثالية الاولى. كما أشار فيها الى موضوع القيادة وانتقالها – اذا أصيب – الى نائبه المسيّب ومنه الى عبد الله بن سعد فعبد الله بن وال حتى آخر الخمسة القياديين، رفاعة بن شداد [۲۴۲] وأخيراً فان هذه الخطبة كانت انعكاساً صادقاً لاخلاقية القيادة التوابية، المترفعة والمتمسكة بالمثل العليا حتى فى ساحات القتال: «... فقد أتاكم الله بعدوكم الذى دأبتم فى المسير اليه آناء الليل والنهار تريدون فيما تظهرون التوبة النصوح ولقاء الله معذرين. فقد جاءوكم بل جئتموهم انتم فى دارهم وحيزهم. فاذا ألقيتموهم فاصدقوهم واصبروا ان الله مع الصابرين... لا تقتلوا مدبراً ولا تجهزوا على جريح ولا تقتلوا أسيراً من أهل دعوتكم الا ان يقاتلكم بعد أن تأسروه أو يكون من قتلة اخواننا بالطّف [۲۴۳] رحمة الله [صفحه ۱۴۸] عليهم، فان هذه كانت سيرة أمير المؤمنين على بن أبى طالب فى أهل الدعوة...» [۲۴۴] .وفى هذا الوقت كانت طلائع الجيش الضخم الذى أعده مروان بن الحكم تشق طريقها نحو قرقيسيا بقيادة عبيد الله بن زياد. وكانت مهمة هذا الجيش تصفية جيوب المعارضة فى العراق والمشرق ضد النظام الاموى الذى انتقلت فيه السيادة الى المروانيين، وانتقل معها ولاء ابن زياد الذى ظل خادماً أميناً ومخلصاً لهذا النظام، مستعداً لتنفيذ أصعب المهمات فى سبيله، بمقدار حرصه على استمرارية مصالحه الخاصة. وقد ساعدت خبرة هذا القائد الطويلة فى شؤون العراق، على أن يكون الرجل الاكثر جدارة للقيام بهذه المهمة التى كان سائراً الى تنفيذها بملء الثقة. ولكنها ثقة كانت فى غير محلها هذه المرة، فالتغييرات السياسية والعسكرية التى شهدتها الارض العراقية حينئذ فاقت تصوراته، وفاته أن هذه المهمة كانت آخر مهامه فى خدمة النظام الاموى، بسقوطه صريعاً على نفس الارض التى كانت لفترة مسرح عملياته الدموية الرهيبة. [صفحه ۱۴۹] وفى الطريق الى العراق تسربت معلومات الى الجيش الاموى عن تحركات التوابين باتجاه (عين الوردة) فحوّل ابن زياد خط سيره نحو تجمعاتهم ليكونوا أول فريسة له. ولكن تطورات جديدة حدثت فى دمشق حينذاك، كان يمكن ان تؤدى الى ارتباك فى هذا الجيش، حين تناقلت الاخبار موت الخليفة مروان وتعيين ابنه عبد الملك [۲۴۵] ، الا ان ذلك لم يترك أى انعكاس فى صفوف الجند، أو يحدث أى تعديل فى خطط الحملة، ذلك أن الخليفة الجديد سارع الى تأكيد أوامر الخلافة باستئناف المهمة التى أوكلت الى هذه الحملة واقرار قائدها فى منصبه. وبدوره كان ابن زياد اكثر تجاوباً مع سيده فأرسل اليه بيعته بالخلافة ومعه جميع عناصر الجند فى الحملة.لم يكن سوى أيام لحسم الموقف الذى أخذ فى التأزم، كلما اقترب الجيش الاموى من معسكر التوابين فى (عين الوردة)، حيث كان ترقب مثير من جانب هؤلاء الذين وجدوا فى اعدائهم تفوقاً عددياً ظاهراً وامكانيات عسكرية مذهلة، بالمقارنة مع جنودهم القلائل وامكانياتهم

المحدودة. والواقع ان الصورة كما بدت عشية الالتحام في [صفحه ۱۵۰] المعركة الفاصلة، غير واضحة تماماً. فهناك قوى غير متكافئة ستخوض حرباً هي بالنتيجة غير متكافئة. فالتوابون كما أشرنا قبلًا، لم يطرأ على وضعهم العسكري أي تحسن، وانما افتقدوا بعض العناصر القتالية، فانخفض عددهم الى ما يزيد على الثلاثة آلاف مقاتل بقليل. وعلى العكس من ذلك كان جيش الامويين متفوقاً بصورة ملحوظة، حيث تشير بعض التقديرات الى انه جاوز العشرين الفاً [۲۴۶] وهناك تقديرات أخرى لا شك انها احتوت على كثير من المبالغة أشارت الى انه بلغ الستين ألفاً [۲۴۷] ولابد ان الرقم الاول هو الاقرب الى الحقيقة، وكانت عناصره موزعة، وفقاً للنظام الحربي التقليدي، الى خمسة ألوية: مقدمة ومؤخرة وقلب وجناحين. وكان على كل لواء قائد من القواد الخمسة الذين مر ذكرهم. وعقدت القيادة العامة طبعاً لامير الحملة عبيد الله بن زياد. اما التوابون فقد شكلوا خطاً واحداً للتصدي بقيادة سليمان، يعاونه عبد الله بن سعد بن نفيل على الميمنة والمسيب بن نجبه على الميسرة [۲۴۸] . [صفحه ۱۵۱] ووصل الجيش الاموي أخيراً، وما لبث أن أخذ مواقعه في مواجهة معسكر التوابين في (عين الوردة) وبدأت استعداداته تتم في اطار من السرعة المتناهية لبدء عملية الالتحام فوراً، والتخلص من هؤلاء الذين عرقلوا مسيرة الجيش وأعاقوا مهمته بعض الوقت. ولكن اللقاء بين المتحاربين في (عين الوردة) تأخر قليلًا، ولعل ذلك يعود الى ان الجنود الامويين لم يكونوا قد استكملوا ترتيباتهم العسكرية بشكل نهائي، كما يعود الى محاولات القائد الاموي مفاوضة زعيم التوابين لحمله على الاستسلام والاعتراف بخلافة عبد الملك. وقد قبل سليمان بالمحاورة مع أعدائه وقدم اليهم شروطه للقبول بعدم القتال [۲۴۹] ، لكنها كانت شروط تعجيزية وغير مقبولة أصلًا لدى الامويين فقط طلب اليهم تسليمه عبيد الله بن زياد (ابن مرجانة حسب تعبيره) وقتله الحسين، والانضمام الى صفوف شيعة آل البيت [۲۵۰] .وكان من البديهي أن يرفض القائد الاموي شروط [صفحه ۱۵۲] زعيم التوابين المستحيلة، وكان معنى ذلك ان الحرب أصبحت وشيكة الوقوع. وكانت قد وقعت فعلًا واتخذت شكل مناوشات، حقق خلالها التوابون نجاحات أولية على جانب كبير من الاهمية. فقد أرسل سليمان نائبه المسيّب بن نجبه على رأس اربعمائة فارس [۲۵۱] نحو معسكر الامويين حين علم بتحرك جيش اموي نحو (عين الوردة) بقيادة شرحبيل بن ذي الكلاع والحصين بن نمير السكوني [۲۵۲] فأوقع المسيب هزيمة قاسية بالجيش الاموي، افقدته الكثير من القتلى [۲۵۳] على الرغم من التفاوت العددي الكبير بين كل من القوتين. وهذا عائد بدون ريب من ناحية الى نجاح مخطط التوابين في الحرب الصاعقة، ومستوى الحماس الملتهب الذي بلغ حداً كبيراً. ومن ناحية أخرى الى تفكك الجبهة الاموية واختلاف شرحبيل والحصين على القيادة العليا [۲۵۴] .وكانت هذه الهزيمة بمثابة تصعيد عنيف للموقف من [صفحه ۱۵۳] جانب الامويين الذين بادروا بارسال أحد القائدين المهزومين (الحصين بن نمير) الى (عين الوردة) ومعه اثنى عشر الفاً من الجنود حيث أصبح وجهاً لوجه مع التوابين.. وكان ذلك ايذاناً بوقوع الحرب فعلياً [۲۵۵] حين اندفع التوابون من مواقعهم بقيادة سليمان بن صُرد التحموا مع قوات الحصين الاموية التي تفوقهم كثيراً في العدد، وذلك في يوم الاربعاء في الثاني والعشرين من جمادى الاولى سنة ۶۵ هجري /۴ كانون الثاني ۶۸۵ م بعد خمسة أيام من نزولهم في (عين الوردة) [۲۵۶] .ويظهر من سير الاشتباكات الاولية أن وضع التوابين - برغم قلتهم العددية - كان معززاً، ومعنوياتهم في ارتفاع دائم، أما الحماس فقد بلغ حداً لا يوصف، وكانت تستثيره نداءات سليمان في صخب المعركة فتزيده التهاباً وتأججاً: «يا شيعة آل محمد، يا من يطلبوا بدم الشهيد ابن فاطمة، ابشروا بكرامة الله عز وجل، فوالله ما بينكم ودخول الجنة والراحة من هذه الدنيا الا فراق الانفس والتوبة والوفاء بالعهد» [۲۵۷] . [صفحه ۱۵۴] «التوبة والوفاء بالعهد» تلك الصرخة التي أطلقها سليمان في المعركة والشعار الذي طرحه التوابون منذ سنوات طويلة وقاسية، اقترن الآن بالفعل وحانت ساعة تنفيذه. لقد دخلوا حرب التكفير عن الذنب بأهداف مثالية وقلوب تطفح بالايمان، عبّروا عنها ابان المعركة بتكسير أغمدة السيوف [۲۵۸] والتقدم الى القتال بشجاعة خارقة وحماس منقطع النظير.دارت المعارك رهيبة، وبلغت في أيامها الثلاثة التالية (وهو الوقت الذي استغرقته الحرب) مرحلة من التصعيد غير متوقعة. فعلى جبهة التوابين الدافقة بالحيوية والنشاط، كانت تحركات المقاتلين تتم في سرعة عجيبة، والوحدات الانتحارية الصاعقة كانت تحقق نجاحات مذهلة على أطراف ومقدمات الجيش الاموي، الامر الذي أحدث ارتباكات في صفوفه وأفقده كثيراً

من عناصره المقاتلة. ففی الیوم الاولللمعارک الجدیدة دار قتال ضاری بین الطرفین حسمه التوابون بهجوم عنیف علی طرفی الجیش الاموی فتراجع مهزوماً، تارکاً وراءه الکثیر من القتلی والجرحی [۲۵۹] وقد ترکت هذه الهزیمة صدی استیاء [صفحه ۱۵۵] عمیق عند القائد العام عبید الله بن زیاد وأفقدته السیطرة علی أعصابه، حین صب جام غضبه وقذف بشتائمه أحد قواده (شرحبیل بن ذی الکلاع) متهماً ایاه بالتخاذل والتقصیر [۲۶۰] .واستؤنف القتال الضاری فی الیوم الثانی. وکان وضع الجیش الاموی قد أصبح أکثر تعزیزاً، بحیث ان التوازن العسکری اختل الی حد کبیر وانعدم التکافؤ بین القوتین المتحاربتین بشکل ظاهر. غیر ان الروح النضالیة المغامرة التی تمیزت بها أعمال التوابین، وذلک التسابق الجموح نحو الاستشهاد، نسف کل قواعد التوازن. فقد کان صمودهم بطولیاً ورائعاً طوال یوم مثیر، أثخن فیه الفریقان قتلاً وجراحاً [۲۶۱] ، ولم تکن نتیجته علی ما یبدو حاسمة لای منهما، حتی کان الیوم الثالث [۲۶۲] وهو الاکثر اثارة فی معارک (عین الوردة) حین أطبق الجیش الاموی بکل امکانیاته علی التوابین الذین اصبحوا فی قلة قلیلة بعد أن أفقدتهم اشتباکات الیوم السابق جزءاً کبیراً من مقاتلیهم. وقد وجدوا أنفسهم فی هذا الیوم محاطین من کل جانب بقوات مکثفة من أعدائهم، انقضّت علیهم [صفحه ۱۵۶] بمنتهی العنف والشراسة. ولکن التوابین، للحقیقة، لم یتخاذلوا ولم یتخلوا مطلقاً عن ایمانهم بالقضیة التی یناضلون فی سبیلها، وانما ظلوا متماسکین فی جبهة واحدة متراصة ویقاتلون قتالاً بطولیاً مستمیتاً [۲۶۳] ، حتی أن هجماتهم الانتحاریة أوقفت بعض الوقت الجنود الامویین عن التقدم، وجعلتهم یتحاشون الالتحام المباشر معهم، فاعتمدوا النبال کسلاح رئیسی [۲۶۴] وتمکنوا بذلک من انزال خسائر جسیمة فی صفوف التوابین، مما أدی الی سیطرتهم أخیراً علی زمام الموقف.وکان سلیمان ذلک الرجل الاسطوری، یتقدم رفاقه المناضلین، بخطی ثابتة نحو قدره الذی اختاره عن قناعة وایمان. وفی وسط المعمعة کان صوته یخترق الآذان مردداً: «عباد الله من أراد البکور الی ربه والتوبة من ذنبه والوفاء بعهده فالیّ» [۲۶۵] وکانت هذه الکلمات آخر ما وردده القائد التوابی وهو یشق بسیفه صفوف الامویین بکل جرأة ورباطة جأش. ولعله عاش فی تلک اللحظات لذة الانتقام وحلم الشهادة الذی أوشک أن [صفحه ۱۵۷] یتحقق. وحدث ذلک فعلاً عندما أدرکه سهم ألقی به یزید بن الحصین، فأوقعه قتیلاً۔ وکان له من العمر ثلاثاً وتسعین سنة [۲۶۶] ومن غرائب المصادفات ان تکون نهایة زعیم التوابین - الذی قام بثورته للانتقام من النظام الاموی عبر ممثله والمسؤول الاول عن مقتل الحسین، یزید بن معاویة - علی ید یزید آخر هو ابن الحصین بن نمیر السکونی أحد أرکان هذا النظام البارزین، وکأن ذلک جاء لیوحی بأن معرکة الانتقام التی یخوضها الحزب الشیعی لم تنته بعد، وستبعث من جدید، ولکن مع وجوه أخری وبأبعاد مختلفة.بعد مقتل سلیمان، تسلم رایة القیادة نائبه المسیّب بن نجبه الذی أثبت انه لا یختلف عن مستوی سلیمان فی جرأته المتطرفة وفی ایمانه العظیم، وقد وصفه أحد الذین شارکوا فی (عین الوردة) بقوله: «ما رأیت أشجع منه انساناً قط، ولا من العصابة التی کان فیهم، ولقد رأیته یقاتل قتالاً شدیداً ما ظننت ان رجلاً واحداً یقدر أن یبلی مثل ما أبلی، ولا۔ ینکأ فی عدوه مثل ما نکأ» [۲۶۷] وقد سقط المسیّب بدوره صریعاً فی المعرکة [۲۶۸] بعد جهود [صفحه ۱۵۸] مستمیتة، وتبعه بقیة القواد وعدد کبیر من المقاتلین، باستثناء رفاعة بن شداد الذی اعترف بالهزیمة وأدرک عدم جدوی القتال، وکانت القیادة قد انتقلت الیه فأصدر أوامره سراً الی البقیة الباقیة من التوابین بالانسحاب والتراجع. غیر أن الاستجابة لم تکن جماعیة، لان فئة، قدّر عددها نحو مائة وثلاثین مقاتلاً، رفضت فکرة الانسحاب، وأصرت علی الاستشهاد، فظلت تقاتل حتی أبیدت بکاملها [۲۶۹] اما الباقون فقد انسحبوا تحت جنح الظلام ممتثلین لاوامر القائد العام. وکانت عملیة الانسحاب مدروسة ومنظمة الی حد کبیر، ذلک ان رفاعة کان قد أمر بتشکیل فرقة من سبعین فارس، مهمتها تغطیة الانسحاب واشغال العدو، کما أمر بتهدیم الجسور والقناطر وراء المقاتلین لاعاقة أی ملاحقة قد یقوم بها الامویون.تمت عملیة التراجع بنجاح تام، وابتعد التوابون المنسحبون عن میدان المعرکة، واصبحوا فی منأی عن مطاردة الجیش الاموی المنتصر الذی استنکف عن محاولة اللحاق بهم [۲۷۰] وفی طریق العودة الی الکوفة عاودتهم ذکریات القتال فی (عین الوردة) ورجعت الیهم من جدید عقدة الشعور بالذنب، ففکروا بالرجوع والسیر علی خطی [صفحه ۱۵۹] رفاقهم الذین وهبهم الله نعمة الشهادة. ولکن رفاعة تمکن بعد صعوبة من اقناعهم بالتخلی عن هذه الفکرة ومتابعة الانسحاب الی

الكوفة [۲۷۱] .ولم تقتصر متاعب الانسحاب على التمرد والاصرار على الرجوع الى ساحة القتال، وانما كانت مشاق الرحلة تفوق حدود الاحتمال، وتضفى عليها مسألة الجرحى [۲۷۲] وفقدان بعضهم فى الطريق، ظلالاً مأساوية قاتمة. وقد حاول زفر بن الحارث الكلابى مواساتهم والتخفيف عنهم عند وصولهم الى (قرقيسيا)، فأرسل اليهم المواد الغذائية، والاطباء لمداواة الجرحى، عارضاً عليهم الاقامة ما شاءوا فى مدينته. فأقاموا فيها ثلاثة أيام [۲۷۳] انصرفوا بعدها متبعين نفس الطريق الذى حملهم الى (عين الوردة) حتى اذا بلغوا (هيت) تفجرت أحزانهم من جديد بلقاء اخوانهم من جماعة المدائن بقيادة سعد بن حذيفة بن اليمان، وهم فى طريقهم الى ساحة القتال [۲۷۴] ، فكان مجيئهم متأخراً وفى غير محله. ولكنهم سجلوا على أية حال موقف التضامن [صفحه ۱۶۰] السياسى والعقائدى مع رفاقهم التوابين من أجل الغفران والتكفير عن الذنب. كان اللقاء حزيناً بكل ما تعنيه هذه الكلمة، لم يخفف بعض حدته الا افتراقهم، عائدين كل الى مدينته، وقد غمره أسى عميق وحمل فى قلبه صورة لن تنسى من الفجيعة.تابعت فلول التوابين بعد ذلك رحلة العودة الى الكوفة، وكانت أخبار المعارك الانتحارية والبطولات الخارقة التى شهدتها (عين الوردة)، قد بلغت أسماع الكوفيين فهزتهم اعجاباً، كما أن بعضهم آلمه أن تتهاوى تلك النخبة من الحزب الشيعى وتضيع جهودها هباء فى غمار حرب غير متكافئة. فلما بلغوا مشارف المدينة، هرع لمواساتهم جمهور من الكوفيين، كان بينهم الامير الزبيرى عبد الله بن يزيد الانصارى الذى استقبل قائدهم رفاعة معزياً ومشجعاً، ومشيداً كذلك بالدور البطولى الذى قام به التوابون فى مسيرتهم النضالية الرائعة ضد (قوى الطغيان) و(زمرة الجوار) [۲۷۵] .وفى الكوفة، اتصل بهم المختار من السجن معزياً: «ابشروا فقد قضيتم ما عليكم وبقى ما علينا، ولن يفوتنا منهم من بقى ان شاء الله» [۲۷۶] وكتب الى زعيمهم رفاعة [صفحه ۱۶۱] مبشراً بالنصر القريب، ومعاهداً على اكمال المسيرة التى بدأها سليمان ورفاقه وان كان لا يفوته ان يغمز من قناة هذا الاخير بوصفه انه ليس بالرجل الذى يمكن ان يتحقق على يديه النصر وانما هو - أى المختار - القادر على حمل راية الحزب الشيعى وتنفيذ مخططاته الثأرية وتصفية كل من شارك فى مأساة كربلاء، نظاماً كان أم اشخاصاً: «أما بعد فمرحباً بالعصبة الذين عظم الله لهم الاجر ورضى فعلهم حين قتلوا، اما ورب البيت ما خطا خاط منكم خطوة ولا ربا ربوة الا كان ثواب الله أعظم من الدنيا، ان سليمان قضى ما عليه وتوفاه الله وجعل روحه مع أرواح النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، ولم يكن بصاحبكم الذى به تنصرون، انى أنا الامير المأمور والامين المأمون وقاتل الجبارين والمنتقم من أعداء الدين المقيد من الاوتار، فأعدوا واستعدوا وابشروا. أدعوكم الى كتاب الله وسنة نبيه والطلب بدم أهل البيت والدفع عن الضعفاء وجهاد المحلين» [۲۷۷] . [صفحه ۱۶۵]

النتائج

ان ثورة التوابين - كما رأينا - أخفقت عسكرياً، وتحطمت قوتها الاساسية فى (عين الوردة). وسبب هذا الاخفاق يعود بدون شك الى عامل رئيسى، هو الاختلال الظاهر فى توازن القوى بين الجيشين الاموى والتوابى. فبينما كان الاول، قوياً، انضباطياً ومتفوقاً بشكل بارز فى امكانياته البشرية والمادية، كان الآخر ضعيفاً، اقتصر على عدد محدود من المتطوعين، الذين توفر لهم من الحماسة والفروسية والايمان، أكثر مما توفر من التنظيم والعدد والعتاد. وهذا الواقع اعترف به سليمان قبيل المعركة عندما لاحظ هزالة جيشه وقلة امكانياته بالمقارنة مع أعدائه الامويين [۲۷۸] وقد أدى هذا الوضع المتباين لدى كل من الفريقين، الى حسم الموقف بسرعة وانهاء المعركة خلال أيام ثلاثة رغم الجهود البطولية التى بذلها التوابون فى ساحة القتال [۲۷۹] . [صفحه ۱۶۶] وعلى الرغم من أن المنطلقات الاولى للحركة التوابية جاءت منسجمة مع ما آلت اليه من نتائج فان التقويم الموضوعى لها هو أبعد من حدود الارتجال والتهور، كما فى أذهان بعض المؤرخين. فقد ولدت حركة التوابين فى الظلام تحت واقع التكفير عن الذنب الذى أوجده مصرع الحسين فى كربلاء، وعاشت كمنظمة سرية تعمل فى الخفاء - طوال خلافة يزيد بن معاوية - لتكوين قاعدتها الشعبية فى الكوفة، وتحاول ان تستفيد من الظروف التى تمخضت عن وفاة هذا الاخير بخروجها من الاطار السرى واعلانها الثورة على النظام الاموى المسؤول المباشر عن مقتل

الحسين.ومع اعترافنا بأن حركة التوابين كانت مجرد حركة تكفيرية التزمت بهدف أساسى هو التوبة، وبأنها كحركة سياسية لم تتضمن أى برنامج اصلاحى سياسياً كان أم اجتماعياً، فلابد لنا أن نعترف ايضاً بأنها كانت حركة منظمة ومدروسة، دأبت بصورة جدية على استقطاب الحزب الشيعى بكل فصائله وتعبئته لخوض معركة الانتقام للحسين. ولكن التمزق الذى أصاب هذا الحزب، بسبب تردد بعض عناصره، واستنكاف البعض الآخر عن المشاركة وانتقاده زعامة الحركة التى لم تضع امامها مخطط الاستيلاء [صفحه ۱۶۷] على السلطة، فضلًا عن ظهور المختار فى الكوفة فى وقت شارفت فيه هذه الحركة على النضج، فكان لظهوره الاثر الكبير فى ارتداد الكثيرين عنها واستمالتهم الى دعوته الاكثر واقعية بمضمونها السياسى والاجتماعى.ان كل هذه الامور أدت فى النهاية الى نتيجة حتمية وهى الاخفاق العسكرى المدمر للحركة التوابية، وان كان ينبغى أن نكون حذرين عند استعمالنا صيغة الاخفاق أو الفشل، لان الهزيمة العسكرية لم تكن مفاجئة او غير متوقعة بالنسبة للتوابين، وانما كان هؤلاء يعرفون سلفاً النتائج المترتبة على تحركهم والتى حذرهم منها أكثر من محذر. لذلك توجهوا الى المعركة وهم يشعرون فى قرارة أنفسهم انهم متجهين الى نهايتهم المحتومة بكل قناعة وبكل ادراك واقعى للظروف، فحققوا بذلك أهدافهم المرسومة، وكان لهم من النتائج ما أرادوا.والحقيقة ان أى تقويم موضوعى لحركة التوابين، ينبغى ان لا يبتعد عن المفهوم العام الذى انطلقت منه، وهو الشعور بالذنب ومحاولة التكفير عنه، ذلك الشعور الذى جمع عناصرها القيادية والمتطوعة فى تنظيم سرى، تحول بعد فترة الى حركة انتحارية، هدفها الاول الانتقام [صفحه ۱۶۸] للحسين او الموت فى سبيله [۲۸۰] ومن خلال هذا المفهوم نستطيع القول أن فشل الحركة العسكرى لا يعنى بالضرورة انها فشلت على الصعيد السياسى، ولا يعتبر مبالغة بأية حال اذا اعتبرناها حركة سياسية ناجحة، نفذت خطة موضوعة سلفاً، وقامت بتأدية مهمتها الانتقامية على أكمل وجه. وأخيراً فان أبرز ما حققته الحركة التوابية من نتائج، انها سجلت بعض الايجابيات على صعيد حركة النضال الشيعى، وانعكست تأثيراتها بصورة خاصة على المجتمع الكوفى، فعبأت جماهيره بالثورة، وعمقت فى نفوسهم الكراهية والحقد ضد النظام الاموى، الامر الذى جعل من الكوفة فيما بعد مسرح التحرك الدائم للحزب الشيعى وثوراته المتلاحقة، المناهضة للنظام.والواقع ان الشيعة فى الكوفة ظلوا يمارسون النقد الذاتى ازاء موقفهم من الحسين بعد عودة بقايا التوابين من (عين الوردة)، واستمر التعبير عن الندامة والشعور بالاثم يمارس عبر نشاطات وتحركات مختلفة.ولكن غياب عدد من الشخصيات القيادية فى الحزب الشيعى أدى الى فراغ فى الزعامة القادرة على تسجيل مواقف سياسية ذات أهمية. حتى رفاعة بن شداد القائد [صفحه ۱۶۹] التوابى المنسحب، لم يكن بمقدوره، وهو المتقدم فى السن والمهزوم عسكرياً، أن يتزعم الحزب الشيعى المفكك حينئذ. فهناك فراغ فى الزعامة، واختلاف فى آراء القادة حول موقف الحزب من التطورات السياسية الجديدة، وهناك تململ فى أوساط القاعدة الجماهيرية التى لا تزال تتفجر بالنقمة وتقوم بضغوط على القيادة من اجل استئناف التحرك واتخاذ قرارات أكثر جدية.وكانت هذه الظروف فرصة نادرة امام الزعيم الشيعى المعتقل آنذاك فى سجن الكوفة، المختار الثقفى. فراقبها باهتمام كبير، وكتب الى صهره عبد الله بن عمر موسطاً اياه من جديد لدى عبد الله بن يزيد أمير الكوفة [۲۸۱] من أجل الافراج عنه. وقد تم له ذلك لقاء عهود قطعها لهذا الاخير [۲۸۲] بعدم اثارة المتاعب وتجميد نشاطاته السياسية. ولكن المختار لم يكن بأية حال ذلك الرجل الذى يلتزم بعهود من هذا النوع وهو المحنك والسياسى الطموح، وانما سخر منها، وعجب لسذاجة الذين اعتقدوا انه سيحافظ عليها حيث قال: «ما أحمقهم حين يرون انى أفى لهم بايمانهم هذه، أما حلفى لهم بالله فانه ينبغى لى [صفحه ۱۷۰] اذا حلفت على يمين فرأيت ما هو خير منها أن أدع ما حلفت عليه وآتى الذى هو خير وأكفّر يمينى، وخروجى عليهم خير من كفى عنهم» [۲۸۳] .وتشاء الصدف أن يتحلل المختار تلقائياً من عهوده مع عبد الله بن يزيد، حين غادر هذا الاخير قصر الامارة معزولاً بقرار من سيده ابن الزبير اذ وجد فيه ضعفاً لا يتناسب مع خطورة المرحلة وعيّن مكانه أحد أشد مؤيديه حماسة هو عبد الله بن مطيع القرشى [۲۸۴] الذى لم يكن بينه وبين المختار شيئاً من المواثيق.وهكذا خرج المختار من سجنه، ليجد نفسه فى مواجهة أحداث مصيرية وخطيرة، فكان عليه أن يتحرك فوراً وأن لا يتردد فى اتخاذ الموقف المناسب بكل جرأة، قبل أن تقوم شرطة الوالى الجديد برصد نشاطاته واعادته من جديد الى السجن [۲۸۵] وبسرعة أعلن برنامجه

السياسی باسم محمد بن الحنفية أحد أبناء علی من غير فاطمة، الذی كان يعيش فی المدينة، حيث زعم انه اتفق سراً مع هذا الاخير علی الدعوة له فی الكوفة. وكان علی [صفحه ۱۷۱] المختار أن يقنع الكوفيين بصحة زعمه، لان فريقاً كبيراً منهم شكك فی هذا الامر، وانتدب وفداً ذهب لمقابلة الزعيم العلوی من أجل الوقوف علی حقيقة ما يزعمه المختار. ورغم ان ابن الحنفية لم يعط جواباً حاسماً، وذلك لاعتبارات متعددة أهمها، موقعه فی الدعوة العلوية ثم تخوفه من ابن الزبير، سيد الحجاز، الذی وضع ابن الحنفية تحت مراقبة أجهزته المشددة.ولكن الزعيم العلوی علی ما يبدو لم يمانع فی مباركة ما يقوم به المختار واستناده فی دعوته علی العلويين اذ قال للوفد الكوفی: «انا لا نكره أن ينصرنا الله بمن شاء من خلقه» [۲۸۶] .ومن المرجح أن المختار، قبل خروجه من الحجاز او بعده، كان قد اتصل بعلی بن الحسين وباحثه بأمر الدعوة له فی العراق ولكنه لم يلق استجابة، فانصرف عنه الی محمد بن الحنفية [۲۸۷] وسواء قابل المختار الزعيمين العلويين، أم أنه زعم ذلك ليعطی تسويغاً أقوی لدعوته وبعداً أكثر من مجرد الثأر للحسين والتكفير عن الذنب، [صفحه ۱۷۲] فان موقف ابن الحنفية من المختار - رغم عدم وضوحه - انعكس علی الوضع العام فی الكوفة حيث شهد الحزب الشيعی تحولاً ـ نحو ابن الحنفية الذی لم يكن مطروحاً حتی ذلك الحين كامام للدعوة العلوية، وأدی الی نجاح المختار فی فرض نفسه علی الحزب وتسلم زعامته.ولقد التف حول المختار بعد خروجه من السجن، نفر من الزعماء الشيعيين الذين وجدوا فيه الشخصية القيادية الصالحة لمتابعة التحرك. وكان من أبرز هؤلاء: رفاعة بن شداد، ويزيد بن انس، وأحمد بن شميط، وعبد الله بن شداد الجشمی، والسائب بن مالك الاشعری. وقد نشط هؤلاء وقاموا بحملات دعائية فی أسواق الكوفة وأحيائها لحمل الناس علی تأييد المختار والبيعة له [۲۸۸] ولكن عقبات عدة جابهت المختار، وأخرت قليلاً سيطرته علی الوضع فی الكوفة فكان لا بد له من معالجتها بالسرعة الممكنة. ومن هذه العقبات مثلاً، موقف حزب الاشراف منه الذی لم يقل عدائية عن موقفه السابق من التوابين [۲۸۹] ، ومنها ايضاً تردد ابراهيم بن الاشتر النخعی أحد كبار الشيعة فی الكوفة، فی الانضمام الی جانب [صفحه ۱۷۳] المختار. وكان ابراهيم - كأبيه الاشتر - شديد الاخلاص فی ولائه لعلی وأبنائه، ومتطرفاً الی أبعد حدود التطرف فی عدائه للامويين، ولكن مع نظرة خاصة للامور ورؤية مختلفة تماماً عن غيره من زعماء الحزب الشيعی، فهو لم يشترك مثلاً ـ فی ثورة التوابين، ووقف موقف الحذر من المختار، لان التحرك الشيعی كان برأيه حينئذ، تحركاً انفعالياً يفتقر الی خطط منظمة واستعدادات طويلة وأهداف واضحة.ولعل ابراهيم كان يطمح الی أن يقود بنفسه الحزب الشيعی فی العراق، خاصة وانه كان علی اتصال دائم مع زعماء البيت العلوی ومنهم محمد بن الحنفية نفسه [۲۹۰] ، وهذا ما دعاه الی التشكيك بمزاعم المختار. غير أن هذا الاخير تمكن بعد الحاح من اقناع ابراهيم بالاعتراف بدعوته والبيعة له. ويبدو ان الموافقة علی ذلك كانت بايحاء من زعيم الدعوة محمد بن الحنفية الذی كتب الی ابراهيم بهذا الشأن [۲۹۱] .والواقع ان المختار كسب حليفاً قوياً بانضمام ابن الاشتر اليه، الذی ما لبث ان صار من ألمع رجالات الثورة [صفحه ۱۷۴] وقائدها العسكری الاول، وأصبح يحضر بانتظام الاجتماعات السرية فی بيت المختار لتحضير الانقلاب ضد الحكم الزبيری فی الكوفة [۲۹۲] ، واتخاذ قرار بتحديد ساعة الخروج حيث اتفق علی أن تكون ليلة الخميس فی الرابع عشر من ربيع الاول سنة ست وستين هجری [۲۹۳] .وفی تلك الاثناء كانت التقارير ترد علی عبد الله بن مطيع - والی الكوفة - من قائد شرطته [۲۹۴] ، محذرة من انقلاب قريب يعده المختار [۲۹۵] فبعث حينذاك ابن مطيع رجاله فی أحياء مختلفة من الكوفة فی محاولة لافشال خطط المختار، ولكن ذلك لم يؤد الی أی نتيجة سوی المساهمة بتعجيل انفجار الثورة وتقديم موعدها يومين (الثلاثاء ۱۲ ربيع الاول ۶۶ هجری). فقد حدث ان كان ابن الاشتر - ومعه مائة من المسلحين - فی طريقه ذلك اليوم الی منزل المختار أن اصطدم بصاحب الشرطة اياس بن مضارب الذی اعترض طريقه، فطعنه ابراهيم برمحه طعنة [صفحه ۱۷۵] أودت بحياته [۲۹۶] وكانت هذه الحادثة اشارة البدء بالتحرك. وبسرعة مذهلة تم استيلاء المختار وقائده ابن الاشتر علی الموقف، وهُزم القائد [۲۹۷] الذی أعده الوالی وحزب الاشراف [۲۹۸] ، وما لبث ان هرب الوالی نفسه، وغادر قصر الامارة متخفياً ولجأ الی منزل ابی موسی الاشعری [۲۹۹] .وهكذا نجحت ثورة المختار الثقفی، وتحققت معها تطلعات الحزب الشيعی لاستلام الحكم، لاول مرة منذ قيام الخلافة الاموية وتنازل الحسن لمعاوية.

وهناك عدة عوامل أسـهمت بدون ريب في انجاح هذه الثورة ومهدت لها الطريق لتصل الى السلطة دون أدنى صعوبة. ومن أبرز هذه العوامل:۱ – الاعتماد بشـكل أساسـي على الفئات الشـعبية من العرب وغيرهم الذين ضاقوا بالاضـطهاد الاموي ثم الزبيري، ووجدوا في ثورة المختار متنفساً لتحقيق مطالبهم الاصـلاحية. [صفحه ۱۷۶] ۲ – احتواء الحركـة لقيادات الحزب الشـيعي التي وجدت في المختار سياسـياً بارعاً ومناضلاً شديد المراس، واقتنعت به كزعيم للحزب، مفوض من قبل أحد كبار العلويين، محمد بن الحنفية.۳ – ان الحكم الزبيري لم يقم بأي تغيير سياسـي في الكوفة ولم يكن لديه أي برنامج اصـلاحي، بل كاد يكون بمناهجه استمراراً للحكم الاموي. وقد جاءت خطبة ممثله في الكوفة حول الخراج تفجر الغضب وتشـعل النقمة [۳۰۰] .۴ – ان اشـراك العامل الزبيري بعض قتلة الحسين في الحكـم وفي حرب المختـار [۳۰۱] ، ترك انطباعـاً سـيئاً في صـفوف المقـاتلين معه، وأخـذت مجموعـات منهم تنصـرف الى معسـكر المختار.۵ – ان انضـمام ابن الاشتر الى المختار، أدى الى ترجيـح كفته وساعده على تحقيق النصـر، ذلك ان تأثير ابن الاشتر كان نابعاً من قوته القبلية ومكانته البارزة في الحزب الشيعي، فضلاً عن امكانياته الشخصية كقائد عسكري موهوب ومغامر.هذه أهم العوامل التي أوصـلت المختار الى السـلطة [صفحه ۱۷۷] في الكوفـة، عبر انقلاب أبرز مـا فيه انه تم دونما اسـراف في اراقـة الـدماء أو جنوح نحو العنف في ملاحقـة الذين تم الانقلاب عليهم. فالاشـراف طلبوا الامان، فأجيبوا اليه [۳۰۲] ، والعامـل الزبيري المهزوم أخرج من مخبأه، مبعداً الى البصرة ومعه مائة ألف درهم [۳۰۳] وبذلك خضعت الكوفة بكل فئاتها – رسمياً على الاقل – للمختار الذي اعتلى المنبر في المسـجد ليعلن برنـامجه السياسـي والاصـلاحي، وكان محوره اقامـة حكم علوي يشـيع العـدل بين الناس ويبعث الطمأنينـة في النفوس ويتعايش مع مختلف الاحزاب. ومما جاء فيه: «تبايعوني على كتاب الله وسنة نبيه والطلب بدماء أهل البيت وجهاد المحلين والدفاع عن الضـعفاء، وقتـال من قاتلنا، وسـلم من سالمنا والوفاء ببيعتنا لا نقيلكم ولا نسـتقيلكم» [۳۰۴] .على أن المختار اذا كان قـد اسـتولى على السـلطة بمثل هذه السهولة، فان الاحتفاظ بها وسط تلك الدائرة من الصراعات الخطيرة التي اتخذت من الارض العراقية [صفحه ۱۷۸] مسـرحاً لها كان أمراً في منتهى الصـعوبة. فهناك أخطار مباشرة تتهدد نظامه الحديث، وتستهدفه مباشرة كلما اقترب الجيش الاموي – الـذي فتـك بالتوابين – من الكوفـة. وهناك في الطرف الآخر ابن الزبير الـذي لا زال يحتفظ بسـيطرته على جنوب العراق، وكان على المختار أن يتحاشـى الاصطدام به، واقناعه بأن حركته ليست ضده، مع ما في هذا الاقناع من استحالة، خاصة بعد أن مُنع الوالي الزبيري الجديد من دخول المدينة [۳۰۵] .بالاضافـة الى ذلك فان الجبهـة الداخليـة، لم تكن خالية من المتاعب. فالمختار وصل الى الحكم – كما هو معروف – بواسـطة الحزب الشـيعي وهو ليس كل الكوفـة. فكان من الطبيعي أن يواجه معارضـة قوية – لا سـيما من الاشـراف الذين بايعوا مكرهين – سـببت له الكثير من المشاكل وكادت تطيح بسـلطانه الحديث العهد.والواقع ان الاحداث كانت تتلاحق بصورة مثيرة ولا بـد من مواجهة الموقف بجرأة وحزم. وكان وصول عبيد الله بن زياد بجيشه الاموي الى الموصل [۳۰۶] من أثقل الامور على المختار الـذي بدا وكأنه يسابق الزمن في [صـفحه ۱۷۹] اسـتعداداته العسـكرية لمواجهة أشد أعدائه خصومة وأكثرهم الحاحاً. ولكي يؤخر زحف هؤلاء نحو الكوفـة، أرسـل المختـار جيشـاً من ثلاثـة آلاف مقاتل بقيادة يزيـد بن انس، المريض والمسن حينئـذ [۳۰۷] فاشـتبك مع طلائع الجيش الاموي وتمكن بعـد يومين من تحقيق انتصار غير متوقع. ولكن ذلك اقترن بوفاة القائـد المنتصـر في نفس الليلـة، فكان لموته تأثيراً سـيئاً على معنويات الجنود الـذين تهيبوا ضـخامة الجيش الاموي وأخذوا في التراجع الى الكوفة [۳۰۸] .بلغت أخبار الانسحاب، ومعها اشاعات عن هزيمة جيش المختار [۳۰۹] فأسقط في يده، وأمر قائده ابن الاشتر بالتوجه مع سبعة آلاف مقاتل [۳۱۰] للحؤول دون توغـل ابن زياد في العراق.غير أن خروج ابن الاشتر من الكوفـة ترك مضاعفات خطيرة في المدينـة وزاد الموقف حراجة، حين انتفض الاشـراف – وكأنهم كانوا ينتظرون خلو الكوفة من ابن الاشتر – وقد كان الحافز وراء ذلك، تضارب مصالحهم [صفحه ۱۸۰] الاقتصاديـة والسياسيـة مع وجود حكومـة شـيعية في الكوفـة برئاسـة المختار، أبرز اهتماماتها معاقبـة المسؤولين عن مقتل الحسـين، وبعضـهم كان من الاشـراف، وانصاف الطبقات المحرومة والفئات المضـطهدة لا سـيما الموالي، وغير ذلك مما أثار حفيظة هؤلاء ودفعهم الى التـآمر على الحكم الشـيعي الـذي هـدد ما تمتعوا به من امتيازات خاصـة في ظل الحكومات السابقـة [۳۱۱] .انطلق

الاشراف فی زمر مسلحة فی الکوفة وحاصروا قصر الامارة، وقد أدی ذلک الی قتال عنیف فی الشوارع خاضته الشیعة ببسالة، وصمد المختار، فلم تفقده خطورة الموقف توازنه، وقدرته الفائقة علی المناورة، حین لجأ الی المماطلة بالتفاوض مع المتمردین [۳۱۲] کسباً للوقت ریثما یصل قائده ابن الاشتر، وکان قد کتب الیه بشأن المؤامرة [۳۱۳] .عاد ابراهیم بسرعة الی الکوفة، وبعودته أتیح للحزب الشیعی - وکانت الحماسة قد بلغت به أقصی درجاتها، یزیدها اشتعالاً صرخات التوابین بقیادة رفاعة ابن شداد مرددة شعارها المعروف «یالثارات [صفحه ۱۸۱] الحسین» [۳۱۴] - أن یقضی علی تمرد الاشراف ویصفی مقاومتهم. وقد أتاح ذلک بدون شک أمام المختار فرصة الاسراع بتنفیذ قراره الانتقامی من قتلة الحسین وتتبعهم فی أنحاء العراق، فأوقع بالکثیرین منهم [۳۱۵] قتلاً ونفیاً وتعذیباً، کان بینهم عمر بن سعد وشمّر بن ذی الجوش [۳۱۶] .وبعد یومین من اخماد تمرد الاشراف، غادر ابراهیم ابن الاشتر الکوفة من جدید فی طریقه الی الموصل حیث کان یرابط بجوارها عبید الله بن زیاد مع جیشه الاموی. وعند نهر الخازر [۳۱۷] اشتبک الجیشان فی ملحمة عظیمة [۳۱۸] بذل فیها الشیعة جهوداً عظیمة للسیطرة علی زمام الموقف، وقامت فرقة انتحاریة منهم باختراق صفوف العدو، مستهدفة عبید الله بن زیاد فتمکنت من الوصول الیه وقتله. ثم قتل غیره من القواد الکبار، [صفحه ۱۸۲] الامر الذی أحدث بلبلة وفوضی وأدی الی هزیمة ساحقة للجیش الاموی [۳۱۹] .وهکذا اکتملت الصورة الانتقامیة، وغمر الارتیاح والفرح نفوس الشیعة بمقتل عبید الله بن زیاد الذی اجتز رأسه وحمل الی الکوفة لیوضع فی نفس المکان الذی وضع فیه رأس الحسین یوم کان ابن زیاد والیاً علی المدینة. وحینذاک بلغ المختار قمة مجده السیاسی، ولکنه وجد نفسه أیضاً أمام المنحدر، یتهاوی فیه بمثل السرعة التی صعد بها الی القمة. ذلک ان الانتصار الذی حققه سید الکوفة الجدید علی الامویین - أعداء ابن الزبیر - لم یخفف من حفیظة هذا الاخیر نحو المختار الذی أضر کثیراً بقضیته [۳۲۰] فبعد قلیل من الوقت، والمختار لم یفق بعد من سکرة الانتصار، فوجئ بمصعب ابن الزبیر یزحف بجیشه نحو الکوفة، وکان قد أرسل من قبل أخیه أمیراً علی البصرة سنة ۶۷ للهجرة [۳۲۱] وقد شغل الاشراف المنفیون فی البصرة دورهم البارز فی تحریض مصعب وتعجیل الحملة التی أعدها للقضاء علی المختار.وفی الکوفة، بدا کأن المختار لم یفاجأ بأخبار هذه [صفحه ۱۸۳] الحملة بقدر ما فاجأه التوقیت. فاستعد للامر ودخل المعرکة بامکانیات محدودة، خاصة وأن قائده الشجاع ابراهیم بن الاشتر کان لا یزال فی الموصل [۳۲۲] لاسباب غیر واضحة تماماً، وربما کانت لابراهیم مسوغاته فی الابتعاد عن الکوفة والانشغال عنها بأمور غیر أساسیة، وأن التزامه فی التحالف مع المختار کان مرحلیاً لیس أکثر، وکان هذا الاخیر یدرک ذلک ویری فی قائده منافساً خطیراً أکثر من مجرد حلیف مخلص.وفی اثناء القتال الذی احتدم فی (حروراء) [۳۲۳] بین کل من الجیشین، برز تفوق الزبیریین بشکل ملحوظ وازداد ضغطهم علی رجال المختار الذین تراجعوا مهزومین، تتبعهم جنود ابن الزبیر. وما لبثت أخبار الکارثة ان وصلت الی المختار الذی اعتصم فی قصر الامارة بعض الوقت، غیر أنه خرج یطلب الموت [۳۲۴] - علی حد تعبیره - بعد أن اشتدت علیه وطأة المحاصرین، فقتل بعد مقاومة بطولیة نادرة، وانطوت فکرة الحکومة الشیعیة فی الکوفة التی غابت معه وکان غیابها طویلاً جداً. [صفحه ۱۸۴] ان سقوط حکومة المختار فی الکوفة لم یؤد الی استسلام حرکة المعارضة العراقیة، وانما استمرت تتصاعد ولکن بقیادات مختلفة وبأهداف ومناهج متباینة. فبعد المختار تسلم الحزب الزبیری السلطة فی العراق بزعامة مصعب، مستفیداً من الظروف التی کانت خیر حلیف فی انهاک قوی العدو وتعبئة القوی الشعبیة بالکراهیة ضد الامویین.ولکن الی أی مدی سیحتفظ هذا الحزب بالسلطة ذلک هو السؤال؟ فقد أصبح النظام الاموی أکثر مناعة واجتاز أزماته العائلیة والقبلیة بعد وصول عبد الملک بن مروان الی الحکم وتطلع الانظار الیه حینئذ لانقاذ الدولة الامویة من انقساماتها واعادة بنائها من جدید قویة، موحدة.وبعد أن قضی هذا الخلیفة بعض الوقت فی تصفیة مشاکله الداخلیة ومعالجة الوضع العسکری علی جبهة البیزنطیین تحول نحو معرکته المصیریة مع منافسه فی الخلافة وشریکه فی اللقب عبد الله بن الزبیر. فلما شعر باستقرار الاحوال فی عاصمة الخلافة قاد بنفسه حملة عسکریة الی العراق صیف ۷۲ هجری [۳۲۵] لتوجیه ضربته الاولی [صفحه ۱۸۵] الی مصعب، فاشتبک معه فی معرکة طاحنة عند (دیر الجاثلیق) فی الجزیرة [۳۲۶] انتهت بهزیمة الجیش الزبیری وحلفائه من العراقیین ومقتل مصعب وقائده الشهیر الذی انضم الیه ابراهیم بن الاشتر.

وكان ذلك ايذاناً برجوع العراق مرة اخرى الى السيادة الاموية ليستكين فترة ثم ينقض من جديد معبراً بمختلف الوسائل السلبية عن رفضه للحكم الاموى وتوقه الى التحرر والاستقلال.وتجدر الاشارة الى أن نضال الحزب الشيعى وهو احدى فصائل المعارضة الاكثر أهمية فى العراق مر بفترة من الركود النسبى وذلك لافتقاده الى المغامرين والقادة العظام فى صفوفه، وفله فى اغتنام الاحداث التى كان من الممكن أن تقوده الى تحقيق طموحاته السياسية لو أحسن استغلالها جيداً. وعلى ذلك ستشهد الفترة المتبقية من الخلافة الاموية تطوراً ملموساً فى نظم الحزب الشيعى وعقائده، وتحولاً بارزاً فى مسيرته النضالية الدائمة. ولكن هذا لم يؤد بأية حال الى تخلى هذا الحزب عن دوره الريادى فى كل الثورات الرافضة التى شهدتها الارض العراقية منذ مصرع الحسين حتى سقوط الدولة الاموية نهائياً على يد احدى الدعوات التى فرزتها الحركة النضالية الشيعية.

پاورقی

[۱] المسعودى: مروج الذهب ۳ / ۳۷ – ۳۸.

[۲] صحيح البخارى ۵/۱۳۷.

[۳] ابن هشام: ۲/۶۰۱.

[۴] اليعقوبى: ۲/۱۱۳.

[۵] اليعقوبى: ۲/۱۲۷، الطبرى: ۳/۲۱۱.

[۶] الطبرى: ۳/۲۰۴.

[۷] مرتضى العسكرى: عبد الله بن سبأ وأساطير أخرى: ۸۷.

[۸] طبرى: ۳/۲۰۷.

[۹] الاوس والخزرج.]

[۱۰] اسيد بن حضير وعويم بن ساعدة. طبرى: ۳/۲۰۹ ابن قتيبة: الامامة والسياسة ۱/۹.

[۱۱] طبرى: ۳/۱۹۸.

[۱۲] طبرى: ۳/۲۰۸.

[۱۳] طبرى: ۳/۱۹۷.

[۱۴] طبرى: ۳/۱۹۵.

[۱۵] ابن قتيبة: الامامة والسياسة: ۱/۶.

[۱۶] لن تعرف العرب هذا الامر الا لهذا الحى من قريش: ابن هشام.

[۱۷] ابن قتيبة: الامامة والسياسة: ۱/۶.

[۱۸] الطبرى: ۳/۲۰۹.

[۱۹] الطبرى: ۳/۲۰۹.

[۲۰] احمد صبحى: نظرية الامامة عند الشيعة الاثنى عشرية، ۲۸ – ۲۹.

[۲۱] سهيل زكار: التاريخ عند العرب، ۹۵ – ۱۱۵.

[۲۲] التراتيب الادارية: ۱/۲ – ۸.

[۲۳] انظر صحيح البخارى: ۵/۱۳۷ – ۱۴۱.

[۲۴] أبو يوسف: الخراج، ۲۸ – ۴۷.

[۲۵] الطبری: ۵/۲۲.

[۲۶] جاء فی تاریخ الطبری ان عبد الرحمن بن عوف بعث فی صبیحهٔ الیوم الثالث لوفاهٔ عمر «الی من حضره من المهاجرین وأهل السابقهٔ والفضل من الأنصار، والی اُمراء الاجناد فاجتمعوا حتی التج المسجد بأهله فقال: ایها الناس، ان الناس قد احبوا ان یلحق اهل الامصار بأمصارهم وقد علموا من أمیرهم، فقال سعید بن زید: انا نراک لها أهلًا، فقال: أشیروا علی بغیر هذا. فقال عمار: ان أردت الا یختلف المسلمون فبایع علیاً، فقال المقداد بن الاسود: صدق عمار، ان بایعت علیاً قلنا سمعنا واطعنا. قال ابن ابی سرح: ان أردت الا تختلف قریش فبایع عثمان: فقال عبید الله بن ابی ربیعهٔ: صدق أن بایعت عثمان قلنا سمعنا وأطعنا. فشتم عمار ابن أبی سرح وقال: متی کنت تنصح المسلمین. فتکلم بنو هاشم وبنو امیهٔ فقال عمار: أیها الناس أن الله عز وجل أکرمنا بنبیه وأعزنا بدینه فأنی تصرفون هذا الامر عن أهل بیت نبیکم! فقال رجل من بنی مخزوم: لقد عدوت طورک یا ابن سمیهٔ، وما انت وتأمیر قریش لانفسها. فقال سعد بن أبی وقاص: یا عبد الرحمن افرغ قبل ان یفتتن الناس، فقال عبد الرحمن: انی قد نظرت وشاورت فلا تجعلن أیها الرهط علی انفسکم سبیلاًـ ودعا علیاً فقال: علیک عهد الله ومیثاقه لتعملن بکتاب الله وسنهٔ رسوله وسیرهٔ الخلیفتین من بعده؟ قال: أرجو أن أفعل واعمل بمبلغ علمی وطاقتی، ودعا عثمان فقال له مثل ما قال لعلی، قال: نعم، فبایعه، فقال علی: حبوته حبو دهر لیس هذا أول یوم تظاهرتم فیه علینا فصبر جمیل والله المستعان علی ما تصفون، والله ما ولیت عثمان الا لیرد الامر الیک والله کل یوم هو فی شأن. فقال عبد الرحمن: یا علی لاـ تجعل علی نفسک سبیلًا فانی قد نظرت وشاورت الناس فاذا هم لا یعدلون بعثمان، فخرج علی وهو یقول: سیبلغ الکتاب أجله، فقال المقداد: یا عبد الرحمن أما واللّه لقد ترکته من الذین یقضون بالحق وبه یعدلون، فقال: یا مقداد والله لقد اجتهدت للمسلمین. فقال المقداد: ما رأیت مثل ما أوتی أهل هذا البیت بعد نبیهم، أنی لاعجب من قریش انهم ترکوا رجلًا ما أقول أن أحداً أعلم ولاـ أقضی منه بالعدل. فقال عبد الرحمن: یا مقداد اتق الله فأنی خائف علیک الفتنهٔ، فقال علی: أن الناس ینظرون الی قریش وقریش تنظر الی بیتها فتقول: أن ولی علیکم بنو هاشم لم تخرج منهم أبداً، وما کانت فی غیرهم من قریش تداولتموها بینکم» – الطبری: ۵/۳۷ – ۳۸.

[۲۷] فلهوزن: تاریخ الدولهٔ العربیهٔ، ۵۰.

[۲۸] ابن کثیر: ۷/۱۸۰.

[۲۹] بیضون – زکار: تاریخ العرب السیاسی، ۷۶.

[۳۰] ابن کثیر: ۷/۱۷۷.

[۳۱] الیعقوبی: ۲/۱۵۵.

[۳۲] ابن قتیبهٔ: الامامهٔ والسیاسهٔ ۱/۴۹.

[۳۳] Perier Vie Dal – Hadjajadj ibn yousof, P۱۰.

[۳۴] قدوره: عائشهٔ ۲۵۵ – ۲۶۰.

[۳۵] لویس: العرب فی التاریخ ۸۴.

[۳۶] الدینوری: الاخبار الطوال ۱۴۴ – ۱۴۵.

[۳۷] الطبری: ۵/۲۱۵.

[۳۸] ابن الاثیر: ۳/۱۴۰.

[۳۹] Perier Vie Dal – Hadjajadj ibn yousof, P۱۲.

[۴۰] الطبری: ۵/۲۳۲.

[۴۱] المسعودی: مروج الذهب ۲/۳۹۲.

[۴۲] الخربوطلی: تاریخ العراق فی ظل الحکم الاموی ۶۸.

[۴۳] الاصفهانی: مقاتل الطالبیین ۳۴.

[۴۴] راجع صلح الحسن للشیخ راضی آل یاسین ۸۳ وما بعدها.

[۴۵] راجع صلح الامام الحسن للسید محمد جواد فضل الله ۵۱ وما بعدها.

[۴۶] کان من أبرز هؤلاء: الاشعث بن قیس، عمرو بن حریث، معاویة بن خدیج، المنذر بن الزبیر، شبث بن ربعی، اسحق بن طلحة، وعمر بن سعد.

[۴۷] راجع کتاب تاریخ العرب السیاسی (بیضون - زکار): ۸۲.

[۴۸] السید محسن الامین: أعیان الشیعة ۴/۲۲.

[۴۹] الاصفهانی: مقاتل الطالبیین: ۴۰ - ۴۲.

[۵۰] الدینوری: الاخبار الطوال: ۲۳.

[۵۱] الیعقوبی: ۲/۲۵۱.

[۵۲] أعیان الشیعة: ۴/۴۲.

[۵۳] الطبری: ۶/۹۳.

[۵۴] کان من ابرزها: حجر بن عدی الکندی، وقیس بن سعد بن عبادة، وسلیمان بن صرد وغیرهم.

[۵۵] لویس: العرب فی التاریخ ۸۹.

[۵۶] کان من بنودها: ان یکون الامر للحسن بعد معاویة. فان حدث شیء للحسن فلأخیه الحسین، ولیس لمعاویة ان یعهد به الی احد: صلح الحسن ۲۵۳ - ۲۵۴. خالد محمد خالد: ابناء الرسول فی کربلاء ۸۷.

[۵۷] المسعودی: مروج الذهب ۲/۴۲۷.

[۵۸] ابن الاثیر: ۲/۲۵۲.

[۵۹] الخضری: محاضرات فی تاریخ الامم الاسلامیة ۱/۸۹.

[۶۰] ابن الأثیر: ۲/۲۵۲.

[۶۱] فلهوزن: الخوارج والشیعة ۱۴۹.

[۶۲] الطبری: ۶/۱۰۶.

[۶۳] ثابت الراوی: العراق فی العصر الاموی ۱۴۰.

[۶۴] الدینوری: الاخبار الطوال ۲۳۶.

[۶۵] فلهوزن: الخوارج والشیعة ۱۴۹ - ۱۵۰.

[۶۶] الطبری: ۶/۱۴۲.

[۶۷] تاریخ خلیفة ۱/۲۴۱.

[۶۸] تاریخ خلیفة ۱/۲۴۷، سنة خمسین للهجرة.

[۶۹] ابراهیم الابیاری: معاویة ۲۴۴.

[۷۰] ۵۱ للهجرة.

[۷۱] محمد جواد فضل الله: حجر بن عدی الکندی، ۱۲۱ وما بعدها.

[۷۲] تاریخ خلیفة: ۱/۲۵۱.

[۷۳] خالد محمد خالد: ابناء الرسول فی کربلاء ۹۰.

[۷۴] دائرهٔ المعارف الاسلامیهٔ الشیعیهٔ ۲/۴۵.

[۷۵] الدینوری: الاخبار الطوال ۲۲۱.

[۷۶] الدینوری: الاخبار الطوال ۲۲۰.

[۷۷] الطبری: ۶/۱۸۹.

[۷۸] الطبری: ۶/۱۸۹.

[۷۹] الطبری: ۶/۱۸۹.

[۸۰] ابن الاثیر: ۴/۸ – ۹.

[۸۱] خالد محمد خالد: ابناء الرسول فی کربلاء ۱۰۹.

[۸۲] الطبری: ۶/۱۶۹.

[۸۳] المنذر بن الزبیر، ابن الاثیر: ۴/۱۰.

[۸۴] ابن الاثیر: ۴/۱۰.

[۸۵] الطبری: ۶/۲۰۲.

[۸۶] ابن الاثیر: ۴/۱۲.

[۸۷] الطبری: ۶/۲۰۶.

[۸۸] الطبری: ۶/۲۰۸.

[۸۹] مقاتل الطالبیین: ۶۷.

[۹۰] الطبری: ۶/۲۰۸.

[۹۱] الطبری: ۶/۲۱۳، مقاتل الطالبیین: ۷۱.

[۹۲] الطبری: ۶/۲۱۳.

[۹۳] احمد البراقی: تاریخ الکوفهٔ: ۲۸۹.

[۹۴] الطبری: ۶/۲۰۴.

[۹۵] الطبری: ۶/۲۰۷.

[۹۶] دائرهٔ المعارف الاسلامیهٔ الشیعیهٔ ۲/۴۸.

[۹۷] ابن الاثیر: ۴/۱۸.

[۹۸] خالد محمد خالد: ابناء الرسول فی کربلاء ۱۲۷.

[۹۹] الطبری: ۶/۲۲۴.]

[۱۰۰] مقاتل الطالبیین: ۷۳.

[۱۰۱] مقاتل الطالبیین: ۷۴.

[۱۰۲] المکان الذی نزل فیه الحسین.

[۱۰۳] ابن الاثیر: ۴/۲۲.

[۱۰۴] ابن الاثیر: ۴/۲۴.

[۱۰۵] الطبری: ۶/۲۳۷.

[۱۰۶] الطبری: ۶/۲۴۴ – ۲۴۵.

[۱۰۷] ابن الاثیر: ۴/۴۴.

[۱۰۸] الطبری: ۷/۴.

[۱۰۹] البلاذری: انساب الاشراف ۴/۴۳.

[۱۱۰] الیعقوبی: تاریخ الیعقوبی ۲/۲۵۰.

[۱۱۱] الطبری: ۷/۲۵۸.

[۱۱۲] الطبری ۶/۱۸۹.

[۱۱۳] ابن کثیر: البدایهٔ والنهایهٔ ۸/۱۶۳.

[۱۱۴] ابن کثیر: البدایهٔ والنهایهٔ ۸/۱۶۰.

[۱۱۵] الطبری: ۶/۱۶۹ – ۱۹۷.

[۱۱۶] جاء فی وصیهٔ الحسین لاخیه محمد بن الحنفیهٔ: «انی لم اخرج اشراً، ولا بطراً، ولا مفسداً، ولا ظالماً، وانما خرجت لطلب الاصلاح فی امهٔ جدی، ارید ان آمر بالمعروف والنهی عن المنکر، فمن قبلنی بقبول الحق فالله أولی بالحق، ومن رد علی هذا اصبر حتی یقضی الله بینی وبین القوم بالحق، وهو خیر الحاکمین».

[۱۱۷] الخربوطلی: عبد الله بن الزبیر ۹۲.

[۱۱۸] ابن قتیبهٔ: الامامهٔ السیاسهٔ: ۲/۱۰.

[۱۱۹] الشهرستانی: الملک والنحل ۱/۱۶۵.

[۱۲۰] ابن کثیر: البدایهٔ والنهایهٔ ۸/۲۳۹.

[۱۲۱] ابن الاثیر: ۴/۵۲.

[۱۲۲] GABRIELI Les ARABES ۹۱.

[۱۲۳] الطبری: ۷/۱۶ – ۱۷.

[۱۲۴] ابن کثیر: البدایهٔ والنهایهٔ ۸/۲۳۸.

[۱۲۵] الطبری: ۷/۲۴، ابن کثیر: ۸/۲۳۸.

[۱۲۶] الطبری: ۷/۳۲ وما بعدها. ابن کثیر: ۸/۲۳۸.

[۱۲۷] الدینوری: الاخبار الطوال ۲۸۰.

[۱۲۸] ابن کثیر: البدایهٔ والنهایهٔ ۸/۲۳۹.

[۱۲۹] الطبری: ۷/۳۰.

[۱۳۰] فلهوزن: تاریخ الدولهٔ العربیهٔ ۱۶۶.

[۱۳۱] بیضون – زکار: تاریخ العرب السیاسی ۱۳۹.

[۱۳۲] فلهوزن: تاریخ الدولهٔ العربیهٔ ۱۷۵.

[۱۳۳] تاریخ خلیفهٔ: ۱/۳۲۶.

[۱۳۴] تاریخ خلیفهٔ: ۱/۳۲۶.

[۱۳۵] F. GABRIELI LES Arabes ۹۱.

[۱۳۶] البلاذری: انساب الاشراف ۴/۶۴.

[۱۳۷] الطبری: ۷/۴۷.

[۱۳۸] الطبری: ۷/۴۷.

[۱۳۹] فلهوزن: الخوارج الشیعهٔ ۱۸۹، الطبری ۷/۴۸.

[۱۴۰] ورد فی البدایهٔ والنهایهٔ: ابن نجیه ۸/۲۴۷.

[۱۴۱] الطبری ۷/۴۷، ابن کثیر ۸/۲۴۷.

[۱۴۲] ابن کثیر: ۸/۲۴۷.

[۱۴۳] الطبری: ۷/۴۸.

[۱۴۴] القرآن الکریم: ۵۴ البقرهٔ ۲، الیعقوبی ۲/۲۵۷.

[۱۴۵] ابن کثیر: ۸/۲۴۷.

[۱۴۶] دائرهٔ المعارف الاسلامیهٔ ۱۲/۱۷۱.

[۱۴۷] البلاذری: انساب الاشراف، ۲/۲۷۲.

[۱۴۸] الطبری: ۶/۱۹۷.

[۱۴۹] الطبری: ۷/۴۸.

[۱۵۰] الطبری: ۷/۴۸.

[۱۵۱] الطبری: ۷/۴۸.

[۱۵۲] الطبری: ۷/۴۹.

[۱۵۳] من خطاب سلیمان فی المؤتمر، الطبری ۷/۴۹.

[۱۵۴] الطبری ۷/۴۸.

[۱۵۵] الطبری: ۷/۵۱.

[۱۵۶] الخربوطلی: تاریخ العراق فی ظل الحکم الاموی ۱۳۳.

[۱۵۷] النخیلهٔ: مکان بالقرب من الکوفهٔ.

[۱۵۸] ابن کثیر: ۸/۲۴۷، الطبری: ۷/.

[۱۵۹] ابن کثیر: ۸/۲۴۷.

[۱۶۰] الطبری: ۷/۵۰.

[۱۶۱] الطبری: ۷/۵۰.

[۱۶۲] الطبری: ۷/۵۱.

[۱۶۳] دائرهٔ المعارف الاسلامیهٔ الشیعیهٔ ۲/۵۷.

[۱۶۴] الطبری: ۷/۵۱.

[۱۶۵] دائرهٔ المعارف الاسلامیهٔ الشیعیهٔ: ۲/۵۸.

[۱۶۶] ابن کثیر: ۸/۲۴۷. ینفرد البلاذری فی انساب الاشراف بقوله أن التوابین قدّموا موعد الخروج الی سنهٔ ۶۴ هجری حین علموا بوفاهٔ یزید.

[۱۶۷] ابن کثیر ۴/۶۸.

[۱۶۸] الطبری: ۷/۵۲.

[۱۶۹] ابن كثير: ۷/۵۳.

[۱۷۰] فلهوزن: الخوارج والشيعة ۱۹۰.

[۱۷۱] ابن كثير: ۸/۲۴۸.

[۱۷۲] فلهوزن: الخوارج والشيعة ۱۹۰.

[۱۷۳] الطبرى: ۷/۵۳، ابن كثير: ۸/۲۴۸.

[۱۷۴] الطبرى: ۷/۵۳، ابن كثير: ۸/۲۴۸.

[۱۷۵] الطبرى: ۷/۵۳.

[۱۷۶] بيضون: زكار: تاريخ العرب السياسى ۱۱۴ – ۱۱۵.

[۱۷۷] فلهوزن: للخوارج والشيعة ۱۹۸.

[۱۷۸] اليعقوبى: ۲/۲۵۸، ابن كثير:۸/۲۴۹.

[۱۷۹] ابن كثير: ۲/۲۴۹.

[۱۸۰] هانى بن ابى حية الوادعى، الطبرى ۷/۶۳.

[۱۸۱] الطبرى: ۷/۶۳.

[۱۸۲] الطبرى: ۷/۶۳.

[۱۸۳] ۲۵ J Perier vie Dal-hadjdadj.

[۱۸۴] يتفق معظم المؤرخين على ان المختار خرج من الحجاز باسم الدعوة لمحمد بن الحنفية، اليعقوبى ۲/۲۵۸، الطبرى ۷/۶۴.

[۱۸۵] ابن كثير: ۸/۲۵۰.

[۱۸۶] فلهوزن: الخوارج والشيعة ۲۰۴.

[۱۸۷] ابن الاثير: ۴/۷۲.

[۱۸۸] عمر بن سعد بن ابى وقاص، شبث بن ربعى، يزيد بن الحارث بن رويم. طبرى ۷/۶۵، ابن الاثير ۴/۷۳.

[۱۸۹] طبرى: ۷/۶۵، ابن الاثير: ۴/۷۳.

[۱۹۰] طبرى ۷/۶۶، ابن الاثير ۴/۷۳، ابن كثير ۸/۲۵۰.

[۱۹۱] كان من ابرز الدعاة حماسة واندفاعاً عبد الله المرى الذى كان يردد: «ويل للقاتل وملامة للخاذل! ان الله لم يجعل لقاتله حجة، ولا لخاذله معذرة – الا ان يناصح الله فى التوبة فيجاهد القاتلين وينابذ القاسطين. فعسى الله عند ذلك أن يقبل التوبة ويقيل العثرة. انا ندعوكم الى كتاب الله وسنة نبيه والطلب بدماء أهل بيته، والى جهاد المحلين والمارقين» الطبرى: ۷/۵۲.

[۱۹۲] الطبرى: ۷/۵۵.

[۱۹۳] ابن كثير: ۸/۵۵۱.

[۱۹۴] ابن الاثير: ۴/۷۴.

[۱۹۵] الفتوح لابن الاعثم الكوفى (مخطوطة).

[۱۹۶] قيل ان عدد المتطوعين ارتفع الى نحو عشرين الفاً. ابن كثير ۸/۲۵۱.

[۱۹۷] ابن كثير: ۸/۲۵۱.

[۱۹۸] ابن الاثير: ۴/۷۴.

[۱۹۹] ابن الاثير: ۴/۶۸.

[۲۰۰] الطبری: ۷/۶۸.

[۲۰۱] رد سلیمان علی عبد الله بن سعد بن نفیل، الطبری: ۷/۶۸، ابن الاثیر: ۴/۷۴.

[۲۰۲] دائرهٔ المعارف الاسلامیهٔ الشیعیهٔ ۲/۵۸.

[۲۰۳] الطبری: ۷/۶۷.

[۲۰۴] الطبری: ۷/۶۷، ابن الاثیر: ۸/۲۵۲.

[۲۰۵] الفتوح لابن الاعثم الکوفی، نسخهٔ اسطنبول، (مخطوطهٔ).

[۲۰۶] الطبری: ۷/۶۹.

[۲۰۷] الطبری: ۷/۶۹.

[۲۰۸] الفتوح لابن الاعثم الکوفی، (مخطوطهٔ) ۱/۲۵۵ – ۲۶۷ – نسخهٔ اسطنبول.

[۲۰۹] الطبری: ۷/۶۸، ابن الاثیر ۴/۷۴.

[۲۱۰] عبد الله بن یزید الانصاری.

[۲۱۱] الطبری: ۷/۵۳.

[۲۱۲] الطبری: ۷/۵۳.

[۲۱۳] الطبری: ۷/۵۴.

[۲۱۴] الخربوطلی: تاریخ العراق فی ظل الحکم الاموی ۱۳۵ – ۱۳۶.

[۲۱۵] الطبری: ۷/۶۹.

[۲۱۶] الطبری: ۷/۶۹.

[۲۱۷] الفتوح لابن الاعثم الکوفی (مخطوطهٔ) ۲۶۰ – نسخهٔ اسطنبول.

[۲۱۸] الطبری: ۷/۷۱ – ۷۲.

[۲۱۹] الطبری: ۷/۷۲.

[۲۲۰] الطبری: ۷/۷۲.

[۲۲۱] الطبری: ۷/۷۲.

[۲۲۲] القرآن الکریم: التوبهٔ ۱۱۱.

[۲۲۳] الفتوح لابن الاعثم الکوفی ۲۶۰. نسخهٔ اسطنبول (مخطوطهٔ).

[۲۲۴] الفتوح لابن الاعثم الکوفی ۲۶۰. نسخهٔ اسطنبول (مخطوطهٔ).

[۲۲۵] ابن الاثیر: ۴/۷۵.

[۲۲۶] البصیرهٔ حالیاً فی سوریا، عند مصب الخابور علی الفرات.

[۲۲۷] ابن کثیر: ۸/۲۵۲ – ۲۵۳.

[۲۲۸] الطبری: ۷/۷۴.

[۲۲۹] الطبری: ۷/۷۲.

[۲۳۰] ابن الاثیر: ۴/۷۵.

[۲۳۱] الطبری: ۷/۷۳.

[۲۳۲] الطبری: ۷/۷۳.

[۲۳۳] الطبری: ۷/۷۳، ابن الاثیر: ۴/۷۵.

[۲۳۴] الفتوح لابن الاعثم الکوفی. نسخهٔ اسطنبول (مخطوطهٔ).

[۲۳۵] ابن الاثیر: ۴/۷۵.

[۲۳۶] الطبری: ۷/۷۳.

[۲۳۷] رأس عین تنبع علی بضعهٔ أمیال الی الشمال من قرقیسیا علی نهر الفرات، ابن الاثیر: ۴/۷۶، جون جلوب: امبراطوریهٔ العرب ۱۳۴.

[۲۳۸] الطبری ۷/۷۳ - ۷۴، ابن الاثیر: ۴/۷۶.

[۲۳۹] ابن الاثیر الخ: ۸/۲۵۳.

[۲۴۰] الفتوح لابن الاعثم الکوفی. نسخهٔ اسطنبول (مخطوطهٔ).

[۲۴۱] الطبری: ۷/۷۴.

[۲۴۲] الطبری: ۷/۷۴.

[۲۴۳] المکان الذی استشهد فیه الحسین ورفاقه فی کربلاء.

[۲۴۴] الطبری: ۷/۷۴، ابن الاثیر: ۴/۷۶.

[۲۴۵] ۳ رمضان سنهٔ ۶۵ هجری. تاریخ خلیفهٔ ۱/۳۳۱.

[۲۴۶] الفتوح لابن الاعثم الکوفی. نسخهٔ اسطنبول (مخطوطهٔ).

[۲۴۷] تاریخ خلیفهٔ ۱/۳۳۱.

[۲۴۸] الطبری: ۷/۷۵.

[۲۴۹] ثابت الراوی: العراق فی العصر الاموی ۱۷۰.

[۲۵۰] البلاذری: انساب الاشراف ۵/۲۱۷. الفتوح لابن الاعثم الکوفی. نسخهٔ اسطنبول (مخطوطهٔ).

[۲۵۱] جاء فی البدایهٔ والنهایهٔ: خمسمائهٔ فارس، ابن کثیر: ۸/۲۵۳.

[۲۵۲] الطبری: ۷/۷۵، ابن الاثیر ۴/۷۶.

[۲۵۳] الطبری: ۷/۷۵، ابن الاثیر: ۴/۷۶.

[۲۵۴] الطبری: ۷/۷۵، ابن الاثیر: ۴/۷۶.

[۲۵۵] ابن کثیر: ۸/۲۵۴.

[۲۵۶] فلهوزن: الخوارج والشیعهٔ ۱۹۵.

[۲۵۷] الفتوح لابن الاعتم الکوفی. نسخهٔ اسطنبول. (مخطوطهٔ).

[۲۵۸] الطبری: ۷/۷۶.

[۲۵۹] قدر عدد الجیش الاموی الذی اشترک باثنی عشر الفاً، کان علی رأسه الحصین بن نمیر السکونی. ابن الاثیر: ۸/۲۵۴.

[۲۶۰] الطبری: ۷/۷۶.

[۲۶۱] الطبری: ۷/۷۶.

[۲۶۲] المسعودی: مروج الذهب ۳/۹۴.

[۲۶۳] الجمعهٔ فی ۲۴ جمادی الاول ۶۵ هجری / ۶ کانون الثانی ۶۸۵ م. المسعودی: مروج الذهب: ۳/۹۴.

[۲۶۴] جون جلوب: امبراطوریهٔ العرب ۱۳۵.

[۲۶۵] الطبری: ۷/۷۶.

[۲۶۶] ابن کثیر: ۸/۲۵۵.

[۲۶۷] الطبری: ۷/۷۶ – ۷۷.

[۲۶۸] ابن کثیر: ۸/۲۵۴.

[۲۶۹] جون جلوب: امبراطوریة العرب ۱۳۶.

[۲۷۰] ابن کثیر: ۸/۲۵۴.

[۲۷۱] جون جلوب: امبراطوریة العرب ۱۳۶.

[۲۷۲] الفتوح لابن الاعثم الکوفی. نسخة اسطنبول (مخطوطة).

[۲۷۳] الطبری: ۷/۸۰.

[۲۷۴] ابن الاثیر: ۴/۷۸.

[۲۷۵] الفتوح لابن الاعثم الکوفی. نسخة اسطنبول (مخطوطة).

[۲۷۶] الفتوح لابن الاعثم الکوفی. نسخة اسطنبول (مخطوطة).

[۲۷۷] ابن الاثیر: ۴/۷۸.

[۲۷۸] الطبری: ۷/۶۶.

[۲۷۹] المسعودی: مروج الذهب ۳/۹۴.

[۲۸۰] «رأوا انهم لا یغسل عنهم ذلک الجرم، الا قتل من قتله او القتل فیه» مروج الذهب ۳/۹۳.

[۲۸۱] ابن الاثیر: ۴/۸۹.

[۲۸۲] الطبری: ۷/۹۴.

[۲۸۳] الطبری: ۷/۹۴.

[۲۸۴] الطبری: ۷/۹۰ – ۹۱.

[۲۸۵] فلهوزن: الخوارج والشیعة ۲۰۳ – ۲۰۴.

[۲۸۶] ابن کثیر: ۸/۲۶۵.

[۲۸۷] المسعودی: مروج الذهب ۳/۷۴.

[۲۸۸] ابن کثیر: ۸/۲۶۴.

[۲۸۹] ابن الاثیر: ۴/۸۹.

[۲۹۰] ابن کثیر: ۸/۲۶۸.

[۲۹۱] الطبری: ۷/۹۸ – ۹۹.

[۲۹۲] ابن کثیر: ۸/۲۶۶.

[۲۹۳] ابن کثیر ۴/۹۱.

[۲۹۴] «ایاس بن مضارب»، ابن الاثیر ۴/۸۹.

[۲۹۵] الطبری: ۷/۱۰۰.

[۲۹۶] الطبری: ۷/۱۰۰.

[۲۹۷] شبث بن ربعی.

[۲۹۸] الطبری ۷/۱۰۳.

[۲۹۹] ابن کثیر: ۸/۲۶۷.

[۳۰۰] ابن الاثیر: ۴/۹۴.

[۳۰۱] دائرة المعارف الاسلامیة الشیعیة: ۲ / ۵۹.

[۳۰۲] ابن الاثیر: ۴/۹۵.

[۳۰۳] ابن کثیر: ۸/۲۶۸.

[۳۰۴] الطبری: ۷/۱۰۸ – ۱۱۰.

[۳۰۵] فلهوزن: الخوارج والشیعة: ۲۱۵.

[۳۰۶] ابن کثیر: ۸/۲۶۸.

[۳۰۷] الطبری: ۷/۱۱۳ – ۱۱۴.

[۳۰۸] الطبری: ۷/۱۱۵.

[۳۰۹] فلهوزن: الخوارج والشیعة: ۲۱۸.

[۳۱۰] ابن کثیر: ۸/۲۶۹.

[۳۱۱] بیضون – زکار: تاریخ العرب السیاسی ۱۱۷.

[۳۱۲] ابن کثیر: ۸/۲۷۰.

[۳۱۳] ابن الاثیر: ۴/۹۸.

[۳۱۴] الطبری: ۷/۱۲۰.

[۳۱۵] الطبری: ۷/۱۲۰.

[۳۱۶] جون جلوب: امبراطوریة العرب ۱۵۳ – ۱۵۴.

[۳۱۷] رافد للزاب الکبیر.

[۳۱۸] فی الشهر الاول من سنة ۶۷ للهجرة، ابن الاثیر: ۴/۱۰۹.

[۳۱۹] الطبری: ۷/۱۴۴.

[۳۲۰] الطبری: ۷/۸۰ – ۸۱.

[۳۲۱] ابن الاثیر: ۴/۱۱۲.

[۳۲۲] فلهوزن: الخوارج والشیعة: ۲۲۹.

[۳۲۳] ابن الاثیر: ۴/۱۱۳.

[۳۲۴] قال لاصحابه وهو خارج الی القتال: ان الحصار لا یزیدنا الا ضعفاً، فانزلوا بنا نقاتل حتی اللیل ونموت کراماً. ابن الاثیر: ۸/۲۸۸.

[۳۲۵] ضیاء الدین الریس: عبد الملک بن مروان: ۲۱۰.

[۳۲۶] المسعودی: مروج الذهب: ۳/۱۰۷ – ۱۰۹.

تعریف مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة

جاهِدُوا بِأَمْوالِکُمْ وَ أَنْفُسِکُمْ فی سَبیلِ اللَّهِ ذلِکُمْ خَیْرٌ لَکُمْ إِنْ کُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علیّ ُبنُ موسَی الرِّضا – علَیهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْیَا أمْرَنَا... َ یَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ یُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ

كَلَامِنَـا لَاتَّبَعُونَـا... (بَـنـادِرُ البِـحـار – فی تلخیص بحـار الأنـوار، للعلاّمـة فیض الاسـلام، ص ۱۵۹؛ عُیونُ أخبـارِ الرِّضـا(ع)، الشـّیخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّـِس مُجتمَع "القائمیّـة" الثّقافیّ بأصـبَهانَ – إیرانَ: الشـهید آیـة الله "الشـمس آباذی" – "رَحِمَهُ اللهُ – کان أحـداً من جَهابـذة هـذه المدینة، الذی قدِ اشـتهَرَ بشَـغَفِهِ بأهل بَیت النبیّ (صـلواتُ اللهِ علـَیهـم) و لاسـیَّما بحضـرة الإمام علیّ بن موسَـی الرِّضا (علیه السّـلام) و بِساحـة صـاحِب الزّمـان (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرجَهُ الشَّریفَ)؛ و لهـذا أسّـس مع نظره و درایته، فی سَـنـَةِ ۱۳۴۰ الهجریّة الشمسـیّة (=۱۳۸۰ الهجریّة القمریّة)، مؤسَّسةً و طریقةً لم یَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُـتَّبَع بأقوَی و أحسَنِ مَوقِفٍ کلَّ یوم.

مرکز "القائمیّة" للتحرِّی الحاسوبیّ – بأصبَهانَ، إیرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَـنـَةِ ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریّة القمریّة) تحتَ عنایـة سـماحة آیـة الله الحـاجّ السیّد حسن الإمـامیّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَـدَةِ جمعٍ من خِرّیجی الحـوزات العلمیّـة و طلاب الجوامع، باللیل و النهار، فی مجالاتٍ شتّی: دینیّة، ثقافیّة و علمیّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشیعة و تبسیط ثَقافة الثَّقَلَین (کتاب الله و اهل البیت علیهـمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزیز دوافع الشـّباب و عموم النـاس إلی التّحَرِّی الأدَقّ للمسائـل الدّینیّـة، تخلیف المطـالب النّـافعـة – مکـانَ البَلاـتیثِ المبتذلـة أو الرّدیئـة – فی المحـامیل (=الهواتف المنقولة) و الحواسیب (=الأجهزة الکمبیوتریّة)، تمهید أرضیّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافیّةٍ علی أساس معارف القرآن و أهل البیت –علیهم السّـلام – بباعث نشـر المعارف، خـدمات للمحققین و الطّلاّب، توسـعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغـة هُواةِ برامِـج العلوم الإسلامیّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهیل رفع الإبهام و الشّـُبُهات المنتشرة فی الجامعة، و...

- مِنها العَدالة الاجتماعیّة: التی یُمکِن نشـرها و بثّها بالأجهزة الحدیثة متصاعدةً، علی أنّه یُمکِن تسـریعُ إبراز المَرافِق و التسـهیلاتِ– فی آکناف البلد - و نشرِ الثّقافةِ الاسلامیّة و الإیرانیّة – فی أنحاء العالَم - مِن جـهةٍ اُخرَی.

- من الأنشطة الواسعة للمرکز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ کتبٍ، کتیبة، نشرة شهریّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقیقیّة و مکتبیة، قابلة للتشغیل فی الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثـّلاثیّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّکة و... الأماکن الدینیّة، السیاحیّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتی "القائمیّة" www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخـَرَ

ه) إنتاج المُنتـَجات العرضیّة، الخـَطابات و... للعرض فی القنوات القمریّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمیّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعیّة، الاخلاقیّة و الاعتقادیّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسیم النظام التلقائیّ و الیدویّ للبلوتوث، ویب کشک، و الرّسائل القصیرة SMS

ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراکزَ طبیعیّة و اعتباریّة، منها بیوت الآیات العِظام، الحوزات العلمیّة، الجوامع، الأماکن الدینیّة کمسجد جَمکرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفیذ مشروع "ما قبلَ المدرسة" الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِکین فی الجلسة

ی) إقامة دورات تعلیمیّة عمومیّة و دورات تربیة المربّی (حضوراً و افتراضاً) طیلة السَّنـَة

المکتب الرّئیسیّ: إیران/أصبهان/ شارع"مسجد سیّد/ "ما بینَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق "وفائی/"بنایة"القائمیّة"

تاریخ التأسیس: ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریة القمریّة)

رقم التسجیل: ۲۳۷۳

الهویّة الوطنیّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البرید الالکترونی: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتی: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۳۱۱۰۰۹۸)

الفاکس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مکتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التِّجاریّهٔ و المَبیعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمین ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظهٔ هامّهٔ:

المیزانیّهٔ الحالیّهٔ لهذا المرکز، شـَعبیّهٔ، تبرّعیّهٔ، غیر حکومیّهٔ، و غیر ربحیّهٔ، اقتـُنِیَت باهتمام جمع من الخیّرین؛ لکنّها لا تُوافِی الحجمَ المتزاید و المتّسِعَ للامور الدّینیّهٔ و العلمیّهٔ الحالیّهٔ و مشاریع التوسعهٔ الثّقافیّهٔ؛ لهذا فقد ترجَّی هذا المرکزُ صاحِبَ هذا البیتِ (المُسمَّی بالقائمیّهٔ) و مع ذلک، یرجو مِن جانب سماحهٔ بقیّهٔ الله الأعظم (عَجَّلَ اللّهُ تعالی فرَجَهُ الشَّریفَ) أن یُوفِّقَ الکلَّ توفیقاً متزائداً لِإعانتهم - فی حدّ التّمکّن لکلّ احدٍ منهم – إیّانا فی هذا الأمر العظیم؛ إن شاءَ اللّهُ تعالی؛ و اللّهُ ولیّ التوفیق.


مركز
القائمية
اصفهان
للتحريات الكمبيوترية
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للایصاء من فضلکم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹